



جامعة اليرموك
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات الإسلامية

السنن الاجتماعية في الكتاب والسنة ودلالاتها التربوية

إعداد الطالب

إحسان محمد علي لافي

إشراف

الدكتور: إبراهيم أحمد أبو عرقوب

الأستاذ الدكتور: محمد عقلة الإبراهيم

حقل التخصص: التربية الإسلامية

1429هـ - 2008م

السنن الاجتماعية في الكتاب والسنة ودلالاتها التربوية

إعداد الطالبة

إحسان محمد علي لافي

قُدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة في تخصص
التربية الإسلامية في جامعة اليرموك، اربد _ الأردن

لجنة المناقشة

د. إبراهيم أحمد أبو عرقوب..... مشرفاً ورئيساً

أستاذ ، الدعوة والاعلام ، الجامعة الأردنية

أ.د. محمد عقلة إبراهيم..... مشرفاً مشاركاً

أستاذ ، فقه مقارن ، جامعة اليرموك

أ.د. ماجد عرسان الكيلاني..... عضواً

أستاذ ، التربية الإسلامية ، جامعة اليرموك

د. ماجد زكي الجلال..... عضواً

أستاذ ، مناهج وأساليب تدريس التربية الإسلامية ، جامعة اليرموك

د. أحمد ضياء الدين الحسين..... عضواً

أستاذ ، أصول التربية الإسلامية ، جامعة اليرموك

د. محمود عايد عليان الرشدان..... عضواً

أستاذ ، التربية الإسلامية ، جامعة اليرموك

١٨ ذو الحجة ١٤٢٩ هـ

١٦ / ١٢ / ٢٠٠٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى قلبين كانا كشمسين ولا يرايان ينبضان بالحب والعطاء يأخذان

بيدي نحو الخير إلى أمي وأبي .

إلى أقمار سنيني وصحبة طفولتي وصبائي إخواني وأخواتي .

إلى قناديل العلم التي كانت تنير بصيرتي وأفقي أساتذتي الأفاضل .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله رب العالمين الذي وفقني للقيام بهذا العمل المتواضع ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعله في ميزان حسناتي يوم القاء الصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أتقدم بالشكر والعرفان لشيخ وأستاذي الدكتور محمد عقلة إبراهيم الذي شرفني بتعليمه لي طوال سنوات دراستي في مرحلتي الماجستير والدكتوراة، ولم يأل جهداً في تعليمي وتقديم النصح لي وتحمل أعباء الإشراف على رسالتي، فقد أتحفني بتوجيهاته السديدة، ومتابعته الحثيثة منذ أن كانت هذه الرسالة فكرة في ثياباً أومراقه إلى أن تم إخراجها على الوجه اللائق بموضوعها . والشكر الموصول للدكتور إبراهيم أبو عرقوب الذي تحمل أعباء الإشراف على رسالتي وتابعني بفيض من التوجيهات النفيسة والنصائح الثمينة مما كان له الأثر الطيب في إثراء هذه الرسالة.

وأقدم بالشكر والتقدير للأستاذ الدكتور ماجد الكيلاني، والدكتور ماجد الجلاّد والدكتور أحمد ضياء الدين والدكتور محمود الرشدان على تفضلهم بقبول مناقشة رسالتي .

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى كل من ساهم بإخراج هذا العمل إلى حيز الوجود .

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الاهداء.....	د
الشكر والتقدير.....	هـ
فهرس المحتويات.....	و
الملخص.....	س
المقدمة.....	1
مشكلة الدراسة.....	3
أسئلة الدراسة.....	3
أهداف الدراسة.....	4
أهمية الدراسة.....	5
محددات الدراسة.....	5
منهج الدراسة.....	6
الدراسات السابقة.....	6
الفصل التمهيدي: مفهوم السنن الاجتماعية وأساليبها وخصائصها في الكتاب والسنة.....	13
المبحث الأول: مفهوم السنن الاجتماعية وأهميتها.....	14
المطلب الأول: مفهوم السنة لغة واصطلاحاً.....	14

14.....	أولاً: مفهوم السنة لغة.....
15.....	ثانياً: مفهوم السنة اصطلاحاً.....
17.....	المطلب الثاني: مفهوم السنن الاجتماعية.....
18	المطلب الثالث: أهمية السنن الاجتماعية.....
20.....	المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في بيان السنن الاجتماعية
20.....	المطلب الأول: الصيغة اللفظية الصريحة
27.....	المطلب الثاني: الصيغة الشرطية.....
30.....	المطلب الثالث: الصيغة الإخبارية.....
33.....	المبحث الثالث: خصائص السنن الاجتماعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية..
33.....	المطلب الأول: الربانية
34.....	المطلب الثاني: الثبات.....
37.....	المطلب الثالث: الشمول و العموم
38.....	المطلب الرابع: الحكمة والعدل
39.....	المطلب الخامس: الواقعية.....
41.....	المبحث الرابع: علاقة السنة الاجتماعية بالتربية الإسلامية
43	الفصل الأول: سنة الله في الابتلاء ودلالاتها التربوية
44.....	تمهيد
45.....	المبحث الأول: مفهوم الابتلاء لغة اصطلاحاً والألفاظ ذات الصلة.....

المطلب الأول: مفهوم الابتلاء لغة اصطلاحاً.....	45
أولاً: مفهوم الابتلاء لغة.....	45
ثانياً: مفهوم الابتلاء اصطلاحاً.....	45
المطلب الثاني: الألفاظ والمصطلحات ذات الصلة بالابتلاء.....	46
أولاً: الفتنة.....	47
ثانياً: التمحيص.....	48
ثالثاً: المحنة.....	49
المبحث الثاني: أنواع الابتلاء والحكمة من تنوعه.....	50
المطلب الأول: أنواع الابتلاء.....	50
أولاً: الابتلاء والتكاليف الشريعة.....	50
ثانياً: الابتلاء بالضراء.....	54
ثالثاً: الابتلاء بالسراء.....	60
المطلب الثاني: الحكمة من تنوع الابتلاء.....	63
المبحث الثالث: سنن الله في الابتلاء والحكمة منها.....	65
المطلب الأول: سنن الله في الابتلاء.....	65
السنة الأولى: الابتلاء وخلق الإنسان.....	65
السنة الثانية: عموم الابتلاء.....	66
السنة الثالثة: استمرار الابتلاء وتطورة.....	67

68.....	السنة الرابعة: ثنائية الابتلاء
69.....	السنة الخامسة: المنحة والمحنة إبتلاء
70.....	السنة السادسة: تعاقب شكلي الابتلاء
71.....	السنة السابعة: بداية الابتلاء ونهايته
71.....	السنة الثامنة: الابتلاء والصبر
72.....	السنة التاسعة: ارتباط الابتلاء بالتمكين
73.....	السنة العاشرة: الابتلاء والوسع الإنساني
74.....	السنة الحادية عشرة: أثر القيم السائدة في استثناء الوسع الإنساني
76.....	المطلب الثاني: الحكمة من سنن الابتلاء
82.....	المبحث الرابع: الدلالات التربوية المستنبطة من سنة الله في الابتلاء
82.....	المطلب الأول: الآثار المستنبطة من سنة الله في الابتلاء
84.....	المطلب الثاني: دور المؤسسات التربوية في التعامل مع سنة الله في الابتلاء
85.....	أولاً: دور الأسرة في التعامل مع سنة الله في الابتلاء
86.....	ثانياً: دور المدرسة في التعامل مع سنة الله في الابتلاء
88.....	ثالثاً: دور المسجد في التعامل مع سنة الله في الابتلاء
90.....	رابعاً: دور وسائل الإعلام في التعامل مع سنة الله في الابتلاء
92	الفصل الثاني: سنة الله في التغيير ودلالاتها التربوية
93.....	تمهيد

المبحث الأول: مفهوم التغيير في القرآن الكريم والسنة النبوية	94
المطلب الأول: مفهوم التغيير لغة واصطلاحاً	94
أولاً: مفهوم التغيير لغة	94
ثانياً: مفهوم التغيير اصطلاحاً	94
ثالثاً: الفرق بين التغيير والتغير	95
المطلب الثاني: سنة التغيير في القرآن الكريم والسنة النبوية	95
أولاً: سنة التغيير في القرآن الكريم	95
ثانياً: سنة التغيير في السنة النبوية	98
المبحث الثاني: أنواع التغيير وقواعده ومراتبه	100
المطلب الأول: أنواع التغيير	100
أولاً: التغيير الايجابي	100
ثانياً: التغيير السلبي	101
المطلب الثاني: قواعد التغيير	102
المطلب الثالث: مراتب التغيير	104
أولاً: مرتبة التغيير باليد	104
ثانياً: مرتبة التغيير باللسان	104
ثالثاً: مرتبة التغيير بالقلب	105
المبحث الثالث: خصائص التغيير وأهدافه ووسائله ومعوقاته	108

المطلب الأول: خصائص التغيير	108
المطلب الثاني: أهداف التغيير	110
أولاً: بناء المجتمع العابد	110
ثانياً: بناء المجتمع الفاضل	112
ثالثاً: بناء المجتمع العامل	114
رابعاً: بناء المجتمع العالم	117
المطلب الثالث: وسائل التغيير إلى الأفضل	118
المطلب الرابع: معوقات التغيير	123
المبحث الرابع: الدلالات التربوية المستنبطة من سنة التغيير	125
المطلب الأول: الآثار المستنبطة من سنة التغيير	125
المطلب الثاني: دور مؤسسات التربية في التعامل مع سنة التغيير	126
أولاً: دور الأسرة في التعامل مع سنة التغيير	126
ثانياً: دور المدرسة في التعامل مع سنة التغيير	127
ثالثاً: دور المسجد في التعامل مع سنة التغيير	130
رابعاً: دور وسائل الإعلام في التعامل مع سنة التغيير	131
الفصل الثالث: سنة الله في التدافع ودلالاتها التربوية	133
تمهيد	134
المبحث الأول: مفهوم التدافع في القرآن الكريم والسنة النبوية	135

المطلب الأول: مفهوم التدافع لغة واصطلاحاً.....	135
أولاً: مفهوم التدافع لغة	135
ثانياً: مفهوم التدافع اصطلاحاً	135
المطلب الثاني: مفهوم التدافع في القرآن الكريم والسنة النبوية	136
أولاً: مفهوم التدافع في القرآن الكريم	136
ثانياً: مفهوم التدافع في السنة النبوية	138
المطلب الثالث: الحكمة من سنة الله في التدافع	138
المبحث الثاني: مجالات التدافع	140
المطلب الأول: تدافع على مستوى الفرد والنفس	140
المطلب الثاني: التدافع في ظل المجتمع الواحد	141
المطلب الثالث: التدافع الحضاري بين الأمم والشعوب	142
المبحث الثالث: أشكال التدافع بين الحق والباطل وأغراضه ومعوقاته	144
المطلب الأول: أشكال التدافع	144
أولاً: الحوار	144
ثانياً: الجهاد	146
المطلب الثاني: أغراض التدافع	147
أولاً: نشر الدين وحمايته	147
ثانياً: إقامة حكم الله في الأرض	148

148.....	ثالثاً: الدفاع عن المظلومين والمستضعفين
149.....	المطلب الثالث: معوقات التدافع
151.....	المبحث الرابع: الدلالات التربوية المستنبطة من سنة التدافع
151.....	المطلب الأول: الآثار التربوية المسنبطة من سنة التدافع
152.....	المطلب الثاني: دور مؤسسات التربية في التعامل مع سنة التدافع
152.....	أولاً: دور الأسرة في التعامل مع سنة التدافع
154.....	ثانياً: دور المدرسة في التعامل مع سنة التدافع
155.....	ثالثاً: دور المسجد في التعامل مع سنة التدافع
156.....	رابعاً: دور وسائل الإعلام في التعامل مع سنة التدافع
158.....	- الخاتمة
159.....	- النتائج
160.....	- التوصيات
162.....	- المراجع والمصادر
178.....	- فهرس الآيات
185.....	- فهرس الأحاديث
187.....	- الملخص باللغة الإنجليزية

الملخص

لافي: إحسان محمد علي، السنن الاجتماعية في الكتاب والسنة ودلالاتها التربوية، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، 2008م.

(المشرف: د. إبراهيم أبو عرقوب، وأ.د محمد عقلة الإبراهيم).

تهدف هذه الدراسة إلى بيان مفهوم السنن الاجتماعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية وتوضيح أهميتها، وأساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في عرضها، وتوضيح خصائصها، ومعرفة علاقتها بالتربية الإسلامية، وقد ركزت هذه الدراسة على السنن الاجتماعية الآتية: سنة الله في الابتلاء، وسنة الله في التغيير، وسنة الله في التدافع وآثارها التربوية، كما عملت هذه الدراسة على توضيح دور مؤسسات التربية الإسلامية في تفعيلها؛ كالأُسرة، والمدرسة، والمسجد، ودور وسائل الإعلام.

وتتحدد مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس الآتي:

ما السنن الاجتماعية الواردة في الكتاب والسنة، وما دلالاتها التربوية؟

أما المنهج الذي اتبعته الدراسة؛ فهو المنهج الأصولي؛ وذلك من خلال جمع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ذات العلاقة بالسنن، والرجوع إلى كتب التفسير، وشروح الحديث؛ لبيان معاني النصوص، وجمع المعلومات والبيانات المتعلقة بهذه السنن، والعمل على تحليلها، واستنباط ما تتضمنه من دلالات تربوية.

وقد خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- إن الأمم تخضع في حياتها وموتها، ونهصتها، وسقوطها إلى سنن إلهية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل تعمل على تنظيم مسيرتها، وتضبط حركتها، ومن هذه السنن؛ سنة الابتلاء، وسنة التغيير، وسنة التدافع.

- إن للسنن الاجتماعية أثراً تربوياً هامة تعود على الفرد والمجتمع، ونحتاج إلى استحضارها لإصلاح واقعنا التربوي والاجتماعي، من خلال تفعيل دور المؤسسات التربوية من مدرسة وجامعة وأسرة وغيرها.

الكلمات المفتاحية: السنن الإلهية، السنن الاجتماعية، الدلالات التربوية، التربية الإسلامية.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وميزه بالعقل؛ وذلك استعداداً لتحمل المسؤولية والأمانة والقيام بأعباء الاستخلاف والتمكين في الأرض. وهذه المسؤولية تكليف وتشريف، لأن الإنسان دون باقي المخلوقات مؤهل لتحمل المسؤولية بما يمتلكه من خصائص وصفات ومزايا. وقد شاعت حكمة الله تعالى أن يودع الكون والحياة كثيراً من سننه لتكون هادياً ومبصراً للإنسان عبر رحلة الاستخلاف في الأرض.

و الناظر في تكوين هذا الوجود وما فيه من مخلوقات، وما جرى فيه من أحداث يراها تدل دلالة واضحة على أن الخالق العظيم قد أبدع هذا الوجود على نهج من السنن التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول كما وصفها سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَكُنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (1).

ويدعو القرآن الكريم إلى كشف هذه السنن والقوانين الثابتة والمطرودة التي تحكم الحياة والكون والأنفس، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنُ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (2).

(1) سورة فاطر: 43.

(2) سورة آل عمران: 137.

هذه السنن هي آياته سبحانه وتعالى الداله على صدق الرسالة، من حيث البرهان وعلى اعجاز الله - جل وعلا - في الخلق، وعلى تفسير التحولات الاجتماعية والتغيرات الكونية والحضارية، لقوله تعالى : ﴿سُنُّهُمْ آيَاتُنَا فِي الْإِفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْكَمْ يَكْفُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾⁽¹⁾.

فخلق سبحانه وتعالى الكون والحياة وفق سنن الهية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، وهي عامة وشاملة لكل البشر إذا تحققت أسبابها تتحقق نتائجها.

وتتجلى هذه السنن في جانبين: جانب الحياة الطبيعية، وجانب الحياة الإنسانية؛ فأما الجانب الأول فتحكمه سنن الله تعالى الكونية التي يقصد بها منهج الله في تسيير الكون وعمارته. وأما الجانب الثاني فتحكمه سنن الله في الحياة الإنسانية، ونواميسه في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين وفق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله⁽²⁾.

ومن المعلوم أن الوحي (الكتاب والسنة) قد وضع السنن الاجتماعية الماثلة في الكون والأنفس والمجتمعات التي تسيير في إطارها الأحداث، وتحكم من خلالها الأمم والأفراد. وسنن الله تعالى التي بينها الله في القرآن الكريم أو بينها الرسول ﷺ جديرة بالدراسة والفهم؛ بل إن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جداً، والواجبة ديانة؛ لأن معرفتها معرفة لبعض الدين

(1) سورة فصلت: 53 .

(2) الخطيب ، شريف: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها، رسالة دكتوراة منشورة، عمان، الدار العثمانية، ط/ 1، 2004م .

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى

هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾.

من هنا ترى الباحثة أنه من الضروري إجراء هذه الدراسة لما لها من الأهمية في إبراز البعد التربوي في السنن الإلهية الاجتماعية.

مشكلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى بيان مفهوم السنن الاجتماعية، وأساليب بيانها وخصائصها الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، إضافة إلى معرفة آثارها ودلالاتها التربوية في شأن الأفراد والأمم والجماعات، وبيان دور وسائط التربية الإسلامية في التعامل معها.

أسئلة الدراسة

وتتحدد مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس الآتي:

ما السنن الاجتماعية الواردة في الكتاب والسنة وما دلالاتها التربوية؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الفرعية الآتية:

- ما مفهوم السنن الاجتماعية؟ وما أهميتها؟ وما أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في بيانها؟
- ما خصائص السنن الاجتماعية؟ وما علاقتها بالتربية الإسلامية؟
- ما مفهوم سنة الابتلاء؟ وما الحكمة منها؟ وما الدلالات التربوية المستتبطة منها؟

(1) سورة النحل : 89 .

- ما مفهوم سنة التغيير؟ وما أنواعها، وخصائصها، ومعوقاتها؟ وما الدلالات التربوية المستنبطة منها؟

- ما مفهوم سنة التدافع؟ وما مجالاتها، وأغراضها وأنواعها؟ وما الدلالات التربوية المستنبطة منها؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح الدلالات التربوية المستنبطة من السنن الإلهية الاجتماعية، ومعرفة مفهومها وأقسامها، وبيان أساليب بيانها وخصائصها الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وفي ضوء ذلك فإن الأهداف التي سعت الدراسة إلى تحقيقها تتمثل في الأمور الآتية:

- بينت مفهوم السنن الاجتماعية، ووضحت أهميتها، وأساليبها الواردة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

- وضحت الخصائص التي تمتاز بها السنن الاجتماعية الواردة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

- عرضت أساليب السنن الاجتماعية الواردة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

- وضحت علاقة السنن الاجتماعية بالتربية الإسلامية.

- استخلصت جملة من الدلالات التربوية المستنبطة من السنن الاجتماعية.

- حددت دور وسائل التربية الإسلامية في التعامل مع السنن الاجتماعية كالأُسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام.

- استخلصت جملة من الآثار المترتبة على الإيمان بالسنن الاجتماعية في حياة الأفراد والمجتمعات الإسلامية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة فيما يأتي :

- تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى التفكير في هذا الكون، والبحث عن السنن الماثلة في المجتمع.

- إن دراسة السنن وفهمها من الأمور المهمة؛ إذ تمكن الإنسان من فهم الحياة الدنيا والآخرة؛ مما يعمق الإيمان في النفوس.

- يحتاج إليها المربي والداعية والعالم والمفكر...، فهي تعطي هؤلاء النور الذي يستضيئون به في دراستهم وأبحاثهم.

- إن معرفة سنن الله جزء من الدين، وإن هذه المعرفة ضرورية، ومن الواجبات الدينية؛ لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ، وبذلك ننجو مما حذرنا الله منه.

محددات الدراسة

اقتصرت هذه الدراسة على تناول سنة الله في الابتلاء، وسنة الله في التغيير، وسنة الله في التدافع ودلالاتها التربوية ؛ وذلك لأهمية هذه السنن في الواقع التربوي، وحاجة الأفراد والمجتمعات إليها لفهم واقعهم، وسبل الخروج من أزمتهم الحضارية.

منهج الدراسة

تقوم هذه الدراسة على:

أولاً: المنهج الأصولي؛ وذلك من خلال:

- جمع نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية ذات العلاقة.

- الرجوع إلى كتب التفسير وشروح الحديث لبيان معاني النصوص.

ثانياً: المنهج الوصفي التحليلي الاستنباطي؛ الذي لا يقف عند مجرد الوصف وجمع المعلومات والحقائق المتصلة بمشكلة الدراسة؛ بل يتعدى إلى تنظيمها ومحاولة دراسة العلاقات فيما بينها وتحليلها تربوياً، واستنباط ما لهذا كله من دلالات تربوية تفيد منها الجهات ذات العلاقة.

الدراسات السابقة

في حدود علم الباحثة وبعد سؤال مراكز المعلومات ومراجعة البحوث العلمية وفهارس المكتبات والرسائل الجامعية تبين أن هذا الموضوع لم يخصص بدراسة سابقة وفق المنهج الذي تبنته هذه الدراسة.

وفيما يلي موجزٌ لبعضها:

1. " السنن الالهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك" (1)

تناول الدراسة مفهوم السنن، وبعضاً من السنن الالهية؛ كسنة الأسباب والمسببات، وسنة الله في التدافع بين الحق والباطل، وسنة الله في الابتلاء، وسنة الله في الظلم والظالمين، وسنة الله في الترف والمترفين.....

وقام المؤلف بجمع النصوص من الكتاب والسنة النبوية المتعلقة بكل سنة من السنن في موضع واحد، ثم قام بدراسة هذه النصوص دراسة تحليلية مستعينا بكتب التفسير، وشروح الحديث، واستخلص تقرير السنة، وطبيعتها وأسبابها، ونتائجها، وأثر الإيمان بها.

ومما يلاحظ أن هذه الدراسة خلت من تناول البعد التربوي، ومن بيان دور وسائط التربية الإسلامية في التعامل مع السنن الاجتماعية كالأُسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام، وهو ما تركز عليه هذه الدراسة.

2. السنن الكونية في الطبيعة والمجتمع في ضوء القرآن الكريم (2)

قسم الباحث الرسالة إلى بابين؛ تناول في الباب الأول دراسة تأصيلية لمصطلح السنن، وبين فيه مفهوم السنن وخصائصها، كما تناول دراسة تأصيلية لمصطلحي الطبيعة والمجتمع، وبين فيهما مفهوم الطبيعة، ومنهج القرآن في الحديث عن الطبيعة، ووضح مفهوم المجتمع، وبين العلاقة بين الفرد والمجتمع في القرآن الكريم، ووضح منهج القرآن في الحديث عن المجتمع.

(1) الخطيب، السنن الالهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها.

(2) جاسم: بكر الحاج، (1999م)، السنن الكونية في الطبيعة والمجتمع في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، 1999م.

وأما في الباب الثاني تناول نماذج من سنن الله تعالى في الطبيعة والمجتمع؛ كسنن الهداية والتسخير، وسنة الخلق والموت، وسنة الاستخلاف، وسنة التدافع.

ومما يلاحظ أن هذه الدراسة تختلف عن دراسة الباحثة في تناولها لسنن الطبيعة، أما دراسة الباحثة فقد اقتصر على تناول السنن الاجتماعية و بيان الآثار والدلالات التربوية لها.

الأبحاث العلمية

1- " السنن الالهية في ضوء السنة النبوية: سنن زوال الأمم والحضارات نموذجاً"⁽¹⁾.

تناول هذا البحث دليلاً تطبيقياً على أن السنة النبوية صالحة لاستنباط السنن الالهية الإنسانية والكونية من خلالها، فبعد ان عرف السنة الالهية بأنها القوانين التي يتحرك وفقها الوجود كله، وتنتظم على أساسها الحياة، بين أهمية البحث فيها، وخصائصها وأقسامها، ومطابق استنباطها.

كما استعرض الباحث عدداً من السنن الالهية المتعلقة بزوال الأمم والحضارات نموذجاً لاستنباط السنن الالهية من السنة النبوية.

ومما يلاحظ أن هذه الدراسة اعتمدت على السنة النبوية فقط في استنباط السنن الالهية.

كما أنها كانت مقتصرة على سنة زوال الأمم والحضارات كنموذج لهذه السنن؛ فلم تتطرق إلى بقية السنن الالهية، كما خلت من البعد التربوي.

(1) سعيد: عبد الجبار، السنن الالهية في ضوء السنة النبوية، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، إربد (21،2)، 2005م، ص 207-224.

2- مدخل إلى السنن الربانية⁽¹⁾.

تناول هذا البحث مفهوم السنن الربانية، وأنواع السنن، والضوابط والأسس التي من خلالها تستنبط، كما حاول أن يستجلي منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في معالجة أنواع السنن الكونية، والإنسانية، والتشريعية، والتاريخية، وبيان الأساليب والتوجيهات الدالة على استكشافها، ومن ثم إبراز بعض الآيات، وما صح من الأحاديث النبوية وفق ارتباطها ونسقتها بهذه السنن، كما تناول البحث الحديث عن خصائص السنن، كما حاول البحث أن يحدد المجالات التي تتحرك وتتفاعل في نطاقها ونسقتها بهذه السنن.

ومما يلاحظ أن هذه الدراسة تلتقي مع دراسة الباحثة في تناولها لمفهوم السنن الإلهية، وبيان خصائصها، وأساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في عرضها، إلا أنها تفترق عنها بتناول الباحثة لبعض من السنن الإلهية؛ كسنة الابتلاء، وسنة التغيير، وسنة التدافع من منظور تربوي إسلامي.

3- السنن الإلهية ودورها في نهضة الأمة الإسلامية⁽²⁾

قسم المؤلف دراسته إلى مقدمة و ثلاث مسائل وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وقد جاء فيها أهمية الدراسة وأهدافها والمنهجية المتبعة في البحث وخطة الدراسة.

المسألة الأولى: وقد حوت على سنة التغيير ومفهومها ودورها في النهضة.

المسألة الثانية: وقد تضمنت سنة الأخذ بالأسباب ومفهومها ودورها في النهضة.

المسألة الثالثة: وقد اشتملت على سنة التدافع ومفهومها ودورها في النهضة.

(1) شهبان: راشد، مدخل إلى السنن الربانية، مؤتمر السنن الإلهية في الكتاب والسنة، جامعة الزرقاء الأهلية،

الزرقاء- الأردن، 22-24 تموز، 2003م، نشر جامعة الزرقاء الأهلية، 2003م، الزرقاء- الأردن.

(2) سمارة: إحسان، السنن الإلهية ودورها في نهضة الأمم، جامعة جرش الأهلية، الأردن، 1424هـ - 2003م.

الخاتمة: وجاء فيها خلاصة الموضوع وما توصل إليه من نتائج وتوصيات.

إن هذه الدراسة لم تتعرض للحديث عن السنن الإلهية كأنواعها، وخصائصها، وأساليب القرآن والسنة النبوية في بيانها، كما أنها اقتصرنا على ثلاث سنن، إضافة إلى أنها خلت من البعد التربوي.

الكتب المنشورة

1- سنن الله في المجتمع من خلال القرآن⁽¹⁾

تحدث المؤلف عن السنن بشكل عام ، وذكر بعض خصائص السنن الإلهية كالثبات. كما بين العوامل الحافظة للمجتمع من الانحدار، إضافة إلى عوامل انحدار المجتمع؛ كالفساد، والانغماس في الترف، والركون إلى الظالمين. كما تحدث عن سنة التغيير في المجتمع. تلنقي هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في تناول هذه الموضوعات؛ إلا أنها تفترق عنها في البعد التربوي كالأثار التربوية ودور مؤسسات التربية الإسلامية في التعامل مع السنن الاجتماعية.

2- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية⁽²⁾

تناول مفهوم السنن الإلهية وخصائصها، إضافة إلى ذكره لبعض من السنن الإلهية؛ كسنة الله في الأسباب والمسببات، وسنة التدافع، والابتلاء، وسنة الله في الظلم والظالمين، وسنة الله في الترف والمترفين، وسنة الله في الطغيان والطغاة، وسنة الله في الاستدراج.....

(1) عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، الدار السعودية للنشر، ط/ 1، جدة، 1971م.

(2) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط/ 3، 1994م.

ومما يلاحظ أن هذا الكتاب خلا من البعد التربوي، ومن التطبيقات التربوية للسنن في الأسرة والمدرسة والمسجد؛ إضافة إلى عدم ذكره للآثار التربوية لهذه السنن على الأفراد والمجتمعات.

أما دراسة الباحثة فتتناول هذه السنن إضافة إلى الأبعاد التربوية لها، وآثارها على الفرد والمجتمع، ودور مؤسسات التربية الإسلامية في التعامل معها.

3. سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة⁽¹⁾

قسم المؤلف الرسالة إلى ثلاثة أبواب، وقسم الباب الأول إلى ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأول تعريف السنن الإلهية وأهميتها، وتناول في الفصل الثاني أنواع السنن الإلهية وأساليب القرآن الكريم في بيان صيغها وأشكالها، وأما في الفصل الثالث فتناول خصائص السنن الإلهية. أما الباب الثاني فتناول فيه الإيمان وأثره في حياة الأمم، وقسمه إلى فصلين؛ ففي الفصل الأول بين أهمية الفكرة الدينية في حياة الأمم، وفي الفصل الثاني بين أصول عقيدة الإسلام وأثرها في حياة الأمم.

وأما الباب الثالث فتحدث فيه عن العمل الصالح وأثره في إحياء الأمم، وقسمه إلى خمسة فصول؛ تناول في الفصل الأول حقيقة العمل الصالح، والفصل الثاني تناول فيه الأعمال القلبية وأثرها في حياة الأمم، وبين في الفصل الثالث الشعائر التعبدية وفوائدها التربوية، وفي الفصل الرابع تناول التكافل الاجتماعي، وأما الفصل الخامس فتناول فيه الاستخلاف في الأرض وعمارتها، معتمداً في ذلك على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية.

(1) شرفه، حسين، سنن الله في إحياء الأمم، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط/1، 1429هـ — 2008م، رسالة دكتوراه منشورة.

تلتقي هذه الدراسة مع دراسة الباحثة في الباب الأول، وتختلف عنها في بقية الأبواب، كما تناولت الباحثة السنن الاجتماعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية و البعد التربوي لهذه السنن ودور المؤسسات التربوية في إبراز هذه السنة.

تخلص الباحثة من عرضها للدراسات السابقة إلى ما يأتي:

- إن الكتب والرسائل والأبحاث ذات الصلة بموضوع الدراسة كانت موجزة ومجملّة في عرضها للموضوع، كما كان تركيزها على ذكر السنن الإلهية، وبيان مفهوم السنن الإلهية، وخصائصها، وهذا هو الجزء المشترك بينها وبين دراسة الباحثة.
- إن ما يميز دراسة الباحثة عن الدراسات السابقة؛ بأنها تركز على دراسة الموضوع من منظور تربوي إسلامي، وتجمع شتاته المتفرق في متون الكتب بصورة أكثر شمولية، وتوسعاً، وأرى أنها ستكمل جوانب النقص والقصور التي أغفلتها الدراسات السابقة من مثل: الآثار التربوية المستنبطة من السنن الاجتماعية، والدلالات التربوية لهذه السنن، ودور مؤسسات التربية في التعامل مع السنن الاجتماعية؛ كالأُسرة، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام.

الفصل الثاني في أساليبها وأصنافها

مفهوم السنن الاجتماعية وأساليبها وخصائصها في الكتاب والسنة، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم السنن الاجتماعية وأهميتها.

المبحث الثاني: أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في بيان السنن الاجتماعية.

المبحث الثالث: خصائص السنن الاجتماعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الرابع: علاقة السنن الاجتماعية بالتربية الإسلامية

المبحث الأول

مفهوم السنن الاجتماعية وأهميتها

لما كان فهم أي موضوع وتحديد الموقف منه يتطلب إيضاح صورته، وتجليه مفهومه، لذا كان لزاماً أن تستهل هذه الدراسة ببيان مفهوم السنن الإلهية والسنن الاجتماعية، ومعرفة أهميتها وعلاقتها بالتربية الإسلامية، وتوضيح أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في عرضها، ومعرفة خصائصها، وسيتم ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم السنة لغة واصطلاحاً:

أولاً: مفهوم السنة لغة:

كلمة السنّة مأخوذة من الفعل (سَنَّ)، يقال: سَنَّ الأمر: بيّنه، وسن الله سنة: بيّن طريقاً قوياً.

والسنّة: الطريقة والسيرة حسنة كانت أو قبيحة⁽¹⁾، وهي الطريقة، والشرعية، والخطّة المتبعة، وجمعها سنن⁽²⁾، والسنة من الله: حكمه في خليقته⁽³⁾.

مما سبق يتبين لنا أن المعنى اللغوي للسنّة في معاجم اللغة يدور حول: السيرة، والطريقة المتبعة، والخطّة، والمنهج.

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (باب النون فصل السين)، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 247/13.

(2) إبراهيم، محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، القاهرة، دار الفكر العربي، ص254.

(3) مصطفى وآخرون، إبراهيم، المعجم الوسيط، فعل (سنن)، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، 458/1.

ثانياً: مفهوم السنة اصطلاحاً.

أما السنة اصطلاحاً فقد تعددت مفاهيمها عند العلماء تبعاً لمجال اختصاصهم واهتمامهم، وحسب أنواعها؛ فتعرّف السنة تبعاً لمجال اختصاص العلماء على النحو الآتي:

أولاً: السنة عند علماء الحديث النبوي:

تعرف السنة عند المحدثين بأنها: "ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة، سواء كانت قبل البعثة أو بعدها⁽¹⁾."

ثانياً: السنة عند علماء الفقه:

السنة عند علماء الفقه هي: "ما ثبت عن النبي ﷺ من غير افتراض أو وجوب وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة"⁽²⁾.

ثالثاً: السنة عند علماء أصول الفقه:

السنة عند الأصوليين هي: "ما صدر عن النبي ﷺ من قول غير القرآن، أو فعل، أو تقرير"⁽³⁾.

رابعاً: السنة عند علماء التفسير:

وأما علماء التفسير فقد عرفوا السنة حسب سياق اللفظة في النص.

فعرفها سيد قطب بأنها: "النواميس التي تحكم حياة البشر وفق مشيئة الله الطليقة، وأن ما وقع منها

(1) السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، السعودية، دار الوراق، 1419هـ — 1998م، ط1، ص65.

(2) الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول، القاهرة، دار الكتب، 155/1.

(3) البغا، مصطفى ديب، أصول الفقه الإسلامي دراسة عامة، دمشق، دار المصطفى، ط1، 1425هـ — 2004م، ص67.

في الماضي يقع في الحاضر إذا أصبحت حال الحاضرين مثل حال السابقين⁽¹⁾.

وأما محمد رشيد رضا فعرفها في تفسيره "المنار" بأنها: "النظام الذي جرى عليه أمر الأمم، وأن ما يقع للناس في كل زمن من الأزمان، وفي كل مكان من الوجود في شؤون اجتماعهم وحياتهم مطابق لتلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل"⁽²⁾.

فهذه المعاني الاصطلاحية للسنة لدى علماء الشريعة - من محدثين وفقهاء وأصوليين ومفسرين - وإن كان في ظاهرها الاختلاف إلا أنها تهدف إلى بيان منهج وطريقة الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة الإسلامية.

وأما مفهوم السنة حسب أنواعها؛ فقد عُرِّفت بأنها: "القوانين الدائمة التي جعل الله منها دستوراً لنظام الكون والحياة، وعلاقة الناس بعضهم ببعض"⁽³⁾.

وكما عُرِّفت بأنها: "مجموعة القوانين التي يسير وفقها الوجود كله، وتتحرك بمقتضاها الحياة"⁽⁴⁾.

ومما يلاحظ أن هذين المفهومين اقتصرَا على سنن الله تعالى في الكون، والإنسان، و الحياة.

وعرفها زيدان بأنها: "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"⁽⁵⁾.

(1) قطب، سيد، في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط17، 1412هـ - 1992م، 4/479.

(2) رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط2، 141/4.

(3) البوطي وسعيد، محمد سعيد رمضان وجودت، التغيير مفهومه وطرائقه، دار الفكر، ص108.

(4) الوزير، إبراهيم بن علي، على مشارف القرن الخامس عشر الهجري، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، بيروت، دار الشروق، ط1، 1399هـ - 1979م، ص7.

(5) زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة، ط3، 1414، - 1994م، ص13.

وعرفها الخطيب - أيضاً - بأنها: "منهج الله تعالى في تسيير هذا الكون، وعمارته، وحكمه، وعادة الله في سير الحياة الإنسانية، وعادته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين وفق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله"⁽¹⁾.

فكلا التعريفين تضمن الحديث عن السنن الكونية والإنسانية.

وبناءً على ما سبق ترى الباحثة أن السنن الإلهية هي: قوانين الله تعالى العادلة في التعامل مع الكون والحياة والخلق والبشر والتي لا تتغير ولا تتبدل.

المطلب الثاني: مفهوم السنن الاجتماعية.

السنن الاجتماعية هي نوع من أنواع السنن الإلهية الذي يظهره الله تعالى في مجال خاص ألا وهو سير المجتمعات مُضيّاً وتراجعاً وضعفاً وتماسكاً.

ويمكن تعريفها بأنها: "قوانين الله التي جرت عادته بإنزالها بعباده على أعمالهم الاختيارية التي استمرأوها ولم يتحولوا عنها، ثواباً لمن وافقوا منهج الله، أو عقاباً لمن كفروا أو شاقوا الله، أو ابتلاءً للمؤمنين، أو إملاءً، أو استدراجاً للطغاة"⁽²⁾.

وعرفت أيضاً بأنها: "السنن التي تحكم الظواهر الاجتماعية، وتنظم على أساسها المجتمعات والعلاقات الاجتماعية"⁽³⁾.

فالسنن الاجتماعية هي التي تنظم حياة الناس والمجتمعات، والتي لا تتغير ولا تتبدل، وينتج عنها سعادة البشر وشقاؤهم.

(1) الخطيب: السنن الإلهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، ص 27.

(2) أبو الحسن: صديق عبد العظيم، مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد الحادي والثلاثون، السنة الثانية، 1417هـ _ 1997م، ص 56.

(3) سعيد: عبد الجبار، السنن الإلهية في ضوء السنة النبوية، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية، اربد، (2)، 2005م، ص 212.

المطلب الثالث: أهمية السنن الاجتماعية

تظهر أهمية السنن الاجتماعية من خلال دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى التفكير في هذا الكون، والبحث عن السنن الماثلة في المجتمع، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنُ

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾⁽¹⁾.

إن معرفة سنن الله جزء من الدين، وإن هذه المعرفة ضرورية، ومن الواجبات الدينية؛ لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ، وبذلك ننجو مما حذرنا الله منه، ونظفر بما وعد الله به عباده المتقين⁽²⁾.

لذا فمعرفة الفرد بالسنن الاجتماعية تجعله أقدر على تسخير الكون بما فيه من حوله، والاستفادة من ذلك في تصريف شؤون حياته، وتحديد مسار سلوكه وفق ضوابط تحدد المعالم والأهداف، والسبل الموصلة إليها⁽³⁾.

والوعي بالسنن الاجتماعية يعطي الناس بصرًا وبصيرة، ومعرفة نظرية وعملية حتى لا يكرروا أخطاء من سبقهم.

(1) سورة آل عمران: 137.

(2) زيدان: السنن الإلهية، ص 17.

(3) كنعان، أحمد محمد، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، بيروت - لبنان، دار النفائس، ط/ 1، 1418هـ، 1997م، ص 39.

وتفتتح معرفتها أمام الناس أبواباً للنجاة من خلال مدافعة السنن بعضها ببعض الآخر.
وإن من يفقه السنن لا تصدمه الأحداث؛ بل تكون لديه صلابة في الموقف بخلاف من يجهل
مصدر الأحداث فإنه ليس لديه إلا الحيرة والخوف والقلق⁽¹⁾.
وتعمل السنن الاجتماعية على النهوض الحضاري للأمم؛ فهي سبب في تقدم الأمة ورفعتهـا
وازدهارها في شتى الجوانب؛ العلمية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية....إلخ.

(1) سعيد، جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط/ 7، 1414هـ - 1993م، ص 163-165. الجليل، عبد العزيز، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، الرياض، دار طيبة، ط/4، 2003م، 204/3.

المبحث الثاني

أساليب القرآن الكريم والسنة النبوية في بيان السنن الاجتماعية .

اتبع القرآن الكريم والسنة النبوية في عرض السنن الاجتماعية أساليب متعددة منها:-

المطلب الأول: الصيغة اللفظية الصريحة.

أولاً: في القرآن الكريم.

ورد لفظة السنن في القرآن الكريم ستة عشر مرة في عشر سور، وذلك في سياقات

متعددة، نذكرها حسب ترتيبها في القرآن الكريم:-

أولاً: قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ

الْأَوَّلِينَ ﴾⁽¹⁾.

تبين هذه الآية أن الفرصة أمامهم سانحة لينتھوا عما هم فيه من الكفر، ومن التجمع

لحرب الإسلام وأهله، والطريق أمامهم مفتوح ليتوبوا عن هذا كله، ويرجعوا إلى الله، ولهم عندئذ

أن يغفر لهم ما قد سلف. فالإسلام يجب ما قبله.... فلما إن هم عادوا - بعد هذا البيان - إلى ما

هم فيه من الكفر والعدوان، فإن سنة الله في الأولين لا تتخلف، وقد مضت سنة الله أن يعذب

المكذبين بعد التبليغ والتبيين⁽²⁾.

(1) سورة الأنفال، 38.

(2) قطب: في ظلال القرآن 3/1508.

فهنا نتحدث الآية عن سنة إلهية اجتماعية وهي إهلاك من اختاروا طريق الكفر والضلال إن هم أصروا على مسلكهم المنحرف.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽¹⁾

سلك الله الكفر في قلوب كفار قريش كما سلكه في قلوب الأمم السابقة، وهؤلاء الكفار لا يؤمنون بهذا القرآن، حتى يروا العذاب الأليم، وهذه سنة أسلافهم الكافرين، من الأمم التي كذبت رسلها، فلم تؤمن بالله، حتى حل بها سخط الله وعذابه، وهذه سنة الأولين، وهم لن يخرجوا عنها⁽²⁾.

فالآية الكريمة تقرر سنة اجتماعية تتمثل في إصرار الأمم المتعاقبة على تكذيب أنبيائها والكفر بدعوتهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ مُرْسَلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾⁽³⁾

ثالثاً: قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُواكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُسُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا، سَنَّةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾⁽⁴⁾.

(1) سورة الحجر: 12-13.

(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن تقريب وتهذيب، دمشق، دار القلم، ط/1، 1418هـ - 1997م.

(3) سورة فاطر: 4.

(4) سورة الإسراء: 76-77.

إن سنة الله في الأمم، إذا كذبت رسلها ألا يعذبهم ما دام نبيهم بين أظهرهم، فإذا خرج نبيهم من بين أظهرهم، عذبهم⁽¹⁾.

رابعاً: وقوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ

سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾⁽²⁾

أي ما منع الناس أن يؤمنوا إلا الذي منع الأولين قبلهم من عادة العناد والطغيان وطريقتهم في تكذيب الرسل والاستخفاف بهم⁽³⁾.

خامساً: قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾⁽⁴⁾

والمعنى أن محمداً ﷺ متبع سنة الأنبياء الذين سبقوه إتباعاً لما فرض الله له كما فرض لهم، فالأنبياء كانوا متزوجين وكان لكثير منهم عدة أزواج، وكان بعض أزواجهم أحب إليهم من بعضهن⁽⁵⁾.

(1) الدمشقي الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1419هـ - 1998م، 354/12.

(2) سورة الكهف: 55.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، 35/13.

(4) سورة الأحزاب: 38.

(5) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، عالم الكتب، الرياض، 1423هـ - 2003م. 195/7.

سادساً: قوله عز وجل: ﴿لَنْ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ

بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا، مَلْعُونِينَ أَيْمًا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتْلُوا تَقْتِيلًا، سَنَةِ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ

تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١﴾

تبين الآية الكريمة أن العذاب حائق بالمنافقين إن لم ينتهوا عما هم فيه وإن الله لا يخالف سنته، لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سنن واحد. فسنة الله لن تتبدل لا مع الذين خلوا من قبل ولا مع الحاضرين (2).

سابعاً: قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونَ أَهْدَى مِنَ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا نَزَادَهُمْ إِلَّا تَقْوَمًا، اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةَ الْأُولَئِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (3)

أي لا يقدر أحد أن يبدل سنة الله التي سنّها بالأمم المكذبة من إنزال العقوبة بهم جزاء تكذيبهم رسلهم. (4).

ثامناً: قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخَدَعُوا كُفْرَنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (84) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٥﴾

(1) سورة الأحزاب: 60-62.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 11/22.

(3) سورة فاطر: 42-43.

(4) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1424هـ-2003م، 474/2.

(5) سورة غافر: 83-85.

تتحقق سنة الله اللازمة لمن أعرض عن الهدى. وتثبت بالباطل الموروث، ولما جاءه الحق سخر منه مع قرارة نفسه وعرفانه بأنه الحق، ولكنه الكبر والعناد، وتحقق سنة الله في المكابرين والمعاندين واقعه وإن أظهروا الرجوع إلى الهدى حين رؤية العذاب. لأن سنة الله تتحقق وفق قضائه الأزلي، وعلمه بأن هؤلاء ما عادوا إلى الهدى إلا ظاهراً وبألسنتهم فقط⁽¹⁾.

تاسعاً: وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْهَابَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ لَكُمْ لِكَاً وَكَانَ نَصِيرًا، سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ بُدِيلًا﴾⁽²⁾

أي يا محمد لن تجد تبديلاً ولا تغييراً لسنة الله التي سنّها في خلقه فهي دائمة مستمرة، فهو يجازي المحسن بإحسانه، لأنه لا جزاء للإحسان إلا الإحسان، ويجازي المسي بإساءته، فيوقع به العذاب والنكال⁽³⁾.

عاشراً: في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنُ فُيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾⁽⁴⁾.

في هذه الآية إشارة إلى أن هذا الذي وقع - من الهزيمة في أحد - لا يصح أن يضعف عزائمكم فإن السنن التي قد خلت من قبلكم تبين لكم كيف كانت مصارعة الحق للباطل، وكيف

(1) الشوكاني: فتح القدير، 591/2.

(2) سورة الفتح: 22-23.

(3) الطبري: جامع البيان عن تأويل أي القرآن تقريب وتهذيب، 15/7.

(4) سورة آل عمران: 137.

ابتلى أهل الحق أحياناً بالخوف والجوع والانكسار في الحرب، ثم كانت العاقبة لهم فانظروا كيف كانت عاقبة المكذابين للرسول، فإنهم كانوا المخذولين، وكان جند الله هم المنصورين⁽¹⁾.

الحادي عشرة: وقوله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي سَنَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُتُوبَ

عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽²⁾

إن الله عز وجل يريد أيضاً بما شرعة لكم من الأحكام الموافقة لمصالحكم ومنافعكم أن يهديكم سنن الذين أنعم عليهم من قبلكم من النبيين والصديقين والصالحين، أي طريقهم في العمل بما يقتضي الفطرة السليمة، وهداية الدين والشريعة، كل بحسب حال الاجتماع في زمانه⁽³⁾. من هذه الآيات يتضح أن الله سبحانه سننا في خلقه لا تتخلف ولا تتغير على صعيد المجتمعات وعلائقها، فالهلاك والهزيمة للكافرين والمعاندين، والنصر والتمكين للمؤمنين مهما تغيرت أسماء أعداء الله وشعاراتهم ومهما حاولوا التلون والخداع. وقد جاء التعبير عن مصطلح " السنة " صريحاً مباشراً في هذه الآيات الكريمة، فكلها تؤكد أن الله سبحانه وتعالى سنناً في الأفراد والمجتمعات تحكم ظواهر ارتقاء الأمم وانكسارها، ومصائر المصلحين والفاستدين، ومواقف الناس من أنبيائهم ودعاة الحق في كل عصر ومكان.

(1) رضا: تفسير القرآن العظيم الشهير بتفسير المنار، 4/138.

(2) سورة النساء: 26.

(3) رضا: تفسير القرآن العظيم الشهير بتفسير المنار، 5/36.

ثانياً: في السنة النبوية.

بعد استقراء الباحثة لكتب الحديث النبوي الشريف لم تجد لفظة السنة ترد بمعنى قوانين الله في المجتمع، وإن ما وجدته، بالمعنى لا بصريح اللفظة، كما أنها وجدت أن هذه اللفظة هي بمعنى المنهج والطريقة فقط، والأحاديث في ذلك عديدة، منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:-

1- عن أبي سعيد رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: "لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه" قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن" (1).

والمراد بالسنة هنا: "طريقة أهل الهواء والبدع التي ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد أنبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل" (2).

2- عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء" (3).

(1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه، بيروت - لبنان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم (3456)، ص 733.

(2) المباركفوري، أبو العلي محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى، بيروت، دار الكتب العلمية، 6/339.

(3) مسلم، الإمام أبي الحسين، صحيح مسلم، مصر - القاهرة، دار ابن الهيثم، كتاب: العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلال، حديث رقم (1017)، ص 679.

3- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: " جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألونه عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال احدهم. أما أنا فأني أصلي الليل، وقال آخر: أنا أصوم الدهر، ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم الله واتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنني فليس مني" (1).

والمراد بالسنة هنا: " الطريقة لا التي تقابل الفرض والرغبة عن الشيء الأعراض عنه إلى غيره، والمراد من ترك طريقتي أخذ بطريقة غيري فليس مني، ولمح إلى طريق الرهبانية، فإنهم الذين ابتدعوها" (2).

المطلب الثاني: الصيغة الشرطية.

ومن الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم والسنة النبوية في عرض السنن الاجتماعية، الصيغة الشرطية. والصيغة الشرطية هي التي تربط بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث على الساحة الاجتماعية، وتؤكد العلاقة الموضوعية بين الشرط والجزاء، وإنه متى تحقق الشرط تحقق الجزاء (3).

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (5063)، ص 1115.

(2) ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت - لبنان، 1416هـ -

1996م، 10/ 132.

(3) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، بيروت - لبنان، دار التعارف للمطبوعات، ط/2، 1402هـ - 1981م،

ص 102.

أولاً: من القرآن الكريم.

ومما ورد في القرآن الكريم فالأمثلة عديدة منها:-

1- قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽¹⁾ فالله سبحانه وتعالى يتعقب

البشر بالحفظة من أمره لمراقبة ما يحدثونه من تغيير بأنفسهم وأحوالهم فيرتب عليه الله تصرفه بهم فإنه لا يغير نعمة أو بؤساً، ولا يغير عزاً، أو ذلة، ولا يغير مكانة، أو مهانة... إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم؛ فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم، وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم، ويجيء لاحقاً له في الزمان بالقياس إليهم⁽²⁾.

2- وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تُنْصِرُوا اللَّهَ يَنْصِرْكُمْ وَتُبْتُمْ أَفْدَأْكُمْ﴾⁽³⁾

فهذا وعد تكفل به الله عز وجل للمسلمين بالنصر إن نصروا دينه ورسوله محمد ﷺ، وبأنه خاذل الذين كفروا بسبب كراهيتهم ما شرعه من الدين⁽⁴⁾

فالآية الكريمة تقرر سنة إلهية هي نصر الله سبحانه وتعالى لمن نصر دينه بالعمل به والدعوة إليه والجهاد في سبيله، وأما من كفر بهذا الدين فمصيرهم الخيبة والذل في الدنيا والعذاب في الآخرة.

(1) سورة الرعد: 11.

(2) قطب: في ظلال القرآن، 4/2049.

(3) سورة محمد: 7.

(4) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، 71/26.

ثانياً: من السنة النبوية.

ومما ورد في السنة النبوية ما يأتي:

- قوله ﷺ: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم"⁽¹⁾

ففي هذا الحديث إشارة إلى أن الانشغال بأمور الدنيا وإغفال الواجبات الدينية والتقاعس عن الجهاد في سبيل الله، يؤدي إلى ذل الأمم وهوانها ولا يرفع إلا بالعودة إلى الجهاد.

- 2- وقوله ﷺ: "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"⁽²⁾

يقرر هذا الحديث سنة إلهية أن الأمة إذا تخلت عن واجبها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استحققت عذاب الله في الدنيا والآخرة، وعدم استجابة الدعاء في الدنيا.

- 3- وقوله ﷺ: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"⁽³⁾

يبين هذا الحديث أن الظلم إذا انتشر في الأمة الإسلامية ولم ينكره أحد، أو يعمل على إزالته، عند ذلك يعم الله العذاب وهذا العذاب لا يقتصر على الظالم وحده؛ بل يعم الكل، الظالم لظلمه، والصالح لسكوته عن إنكار الظلم.

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار الفكر، كتاب البيوع، باب في النهي عن العينة، 274/3. وصححه الألباني، الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، بيروت، المكتب الإسلامي، ط/ 1، 1409هـ - 1989م، حديث رقم (3462)، 2/ 663.

(2) الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة، سنن الترمذي، مصطفى الحلبي، ط/ 2، 1978م، ص 468، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه، 476/4، وقال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

المطلب الثالث: الصيغة الإخبارية.

نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية عبرا عن سنن الله تعالى بالصيغة الإخبارية أيضاً. وتقسم الصيغ الإخبارية التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى قسمين: إخباره سبحانه وتعالى عن فعله، وإخباره عن خلقه من إنسان، وحيوان، ونبات. فجاء إخباره سبحانه وتعالى عن فعله في الأمم السابقة، وأحوالهم سواء التي آمنت أو التي لم تؤمن. "فإخبار الله عز وجل لنا عن الأمم الماضية ليكشف عن الحقائق ويستخلص منها سنن الله الحكيمة في النعمة والنعمة، وفي قيام الأمم وسقوطها، وضعفها، وقوتها، وإلى عدله تعالى في بقاء الأصلح وحكمته في نظام خلقه"⁽¹⁾، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي

الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾.

ومما أخبر عنه سبحانه وتعالى كقصة أصحاب الفيل لقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ

فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾⁽³⁾.

وأما إخباره عز وجل عن خلقه؛ كإخبار القرآن الكريم والسنة النبوية عن كيفية خلق الله تعالى للإنسان ومراحل خلقه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا

(1) نفرة، اتهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1974م، ص 271.

(2) سورة يوسف: 11.

(3) سورة الفيل: 1.

بَصِيرًا⁽¹⁾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرِّفِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أُمْرٍ ذَلِ الْعُمُرِ⁽²⁾﴾

فالآية الكريمة هنا تخبرنا عن دوره كاملة مر فيها الإنسان بأطوار خلقية متعددة.

وورد عن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح..."⁽³⁾

وأخبر القرآن - أيضاً - أن الله خلق الناس، وجعلهم مفطورين على الدين، وعلى الإيمان به وحده لا شريك له، وهذه السنة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لها من جهة الخالق سبحانه وتعالى⁽⁴⁾ لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ⁽⁵⁾﴾

(1) سورة الإنسان: 2.

(2) سورة الحج: 5.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر، باب: كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله، حديث رقم (2643)، ص 671.

(4) الشوكاني: فتح القدير، 368/2.

(5) سورة الروم: 30.

وكما أخبر سبحانه وتعالى أن سنته في الابتلاء ماضية في خلقه إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿الَّذِي

خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾⁽¹⁾

وأخبر ﷺ عن خطورة الظلم على الظالم نفسه وعلى المجتمع فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"⁽²⁾.

قال القاضي: " قيل هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حتى يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم"⁽³⁾.

(1) سورة الملك: 2.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم (2578)، ص 659.

(3) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث، 1392هـ، ط/2، 134/16.

المبحث الثالث

خصائص السنن الاجتماعية الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية

من خلال استطلاع الآيات القرآنية الكريمة ووالأحاديث النبوية الشريفة التي بينت السنن الاجتماعية، يتضح ان تلك السنن تتفرد بمجموعة من الخصائص، أهمها ما يلي:-

المطلب الأول: الربانية.

وصفة الربانية للسنن الاجتماعية تعني: " أنها منسوبة إلى الله تبارك وتعالى، فهي من خلق الله تعالى، وقدر من أقداره عز وجل، وتشريع من تشريعاته، فهو سبحانه من سننها ووضعها وأجراها، ولذلك فالسنن الإلهية من صميم العقيدة، ومرتبطة بالقضاء والقدر"⁽¹⁾، وأن وظيفة الرسول ﷺ هي مجرد النقل الدقيق و التبليغ.

ومما يدل على ذلك إضافة لفظة " سنة " إلى اسم الجلالة في العديد من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿سَنَةِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَكُنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ بُدِيلًا﴾⁽²⁾ وقوله سبحانه وتعالى:

﴿سَنَةِ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾⁽³⁾

(1) شرفه : سنن الله في إحياء الأمم ، ص 99.

(2) سورة الفتح: 23.

(3) سورة غافر: 85.

فالسنن التي نحن بصدد الحديث فيها هي سنة الله في الحياة والإحياء و هي مصبوغة بالإلهية، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾⁽¹⁾ مع ما تقتضيه هذه الخاصية من عدالة هذه السنن، وأحقيتها وثباتها واطرادها.

المطلب الثاني: الثبات والاطراد.

أي أن هذه السنن لا تتغير ولا تتبدل إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى، ولم يجعل الله تبارك وتعالى لأحد سلطاناً على هذه السنن، إلا بمعجزة يؤيد بها أحد أنبيائه أو رسله⁽²⁾. والاطراد يعني: تتابع حصولها، أو تكرار آثارها على الوتيرة نفسها كلما توافرت شروطها، وانتفت الموانع التي تحول دون تحقيقها.⁽³⁾ قال تعالى: ﴿سَنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾⁽⁴⁾ وقوله عز وجل: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽⁵⁾.

ومن الأحاديث ما رواه أبو هريرة أنه قال رسول الله ﷺ: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة.." ⁽⁶⁾

(1) سورة البقرة: 138.

(2) سعيد: السنن الإلهية في ضوء السنة النبوية، ص 213.

(3) كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص 77.

(4) سورة الأحزاب: 62.

(5) سورة فاطر: 43.

(6) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث رقم (2999)، ص 684.

يقول ابن تيمية مبيناً ذلك: "... وهذه السنن كلها سنن تتعلق بأمره ونهيه ووعدته ووعدته، وليست هي السنن المتعلقة بالأمور الطبيعية كسنته في الشمس، والقمر، والكواكب، وغير ذلك من العادات، فإن هذه السنة ينقضها إذا شاء بما شاء من الحكم، كما حبس الشمس على يوشع⁽¹⁾ وكما شق القمر لمحمد ﷺ " وكما ملأ السماء بالشهب، وكما أحيا الموتى غير مرة، وكما جعل العصا حية، وكما أنبع الماء من الصخرة بعصا، وكما أنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ ... وهذا خلاف عادته التي وعد بها، وأخبر أنها لا تتغير، كنصرة أوليائه، وإهانة أعدائه، فإن هذا علم بخبره، وحكمته، أما خبره فإنه أخبر بذلك ووعد به، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد.... فقله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَكَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾⁽²⁾ دليل على أن هذا من مقتضى حكمته، وأنه يقضي في الأمور المتماثلة بقضاء متماثل لا بقضاء مخالف، فإذا كان قد نصر المؤمنين، لأنهم مؤمنون كان هذا موجبا لنصرهم حيث وجد هذا الوصف بخلاف ما إذا عصوا ونقضوا أيمانهم كيوم أحد، فإن الذين كان لهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾⁽³⁾ فعم كل سنة له هو يعم سنته في خلقه وأمره وفي الطبيعيات والدينيات⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فرض الخمس باب قول النبي ﷺ، أحلت لكم الغنائم، وفي رواية البخاري لم يذكر اسم "يوشع" عليه السلام ولكن صرح ابن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري أن اسمه يوشع من روايات أخرى، 221/6.

(2) سورة فاطر: 43.

(3) سورة الأحزاب: 62.

(4) ابن تيمية، أحمد، التفسير الموضوعي، دار الاعتصام، 76-77، بتصرف .

و لو لم تكن سنة الله ثابتة على هذه الحال، لما كان في هذا الوجود من توازن ولا استقرار
ولكانت الفوضى حينئذ هي سمة الخلق كله... وهذا ما يتنافى مع الواقع المشهود، الذي تدلنا كل
صغيرة وكبيرة فيه على آيات التوازن والاستقرار⁽¹⁾ كما قال تعالى في وصفه: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ
مُسْتَقَرٌّ﴾ (2).

فثبات السنة وأطرافها لا يتعارض مع مشيئة الله تعالى، ذلك أن مصدر السنة هو الله
سبحانه وتعالى، فالله تعالى هو الذي أعطى هذه السنة الإلهية أطرافها واستمراريتها، وعدم تحولها
أو تبدلها.

وعليه، فإن الاستعانة بالسنن والسير على هديها، طلباً للنتائج المرتبطة بها ليس إلا
استجابة لأمر الله تعالى، وخضوعاً لإرادته، أي أن استخدام السنن ليس بعداً عن الله تعالى أو
اعتماداً على غيره سبحانه، وإنما هو من أمر الله تعالى واستعانة به، فهو مصدر السنة، لقوله
تعالى: ﴿فَعَالٍ لِّمَا يُرِيدُ﴾⁽³⁾ كما أن أطراف السنن وثباتها لا يتعارض مع اختيار الإنسان وإرادته.

لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾⁽⁴⁾ وذلك أن بإمكان الإنسان أن يكتشف السنن، ويستطيع أن
يسير موافقاً لها مستفيداً من عطائها، كما يستطيع أن يتحداها ويعاندها، وهذا التحدي لا يستمر
طويلاً إنه تحد يقع في الأجل القصير فقط، أما في الأجل الطويل فإن عاقبة التحدي لسنن الله

(1) كنعان: أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، ص 69.

(2) سورة القمر: 3.

(3) سورة البروج: 16.

(4) سورة البقرة: 256.

تعالى والخروج عليها، تنتهي بعدم استقامة الحياة، واضطرابها وفساد حياة الإنسان والجماعة والمجتمع.⁽¹⁾

المطلب الثالث: الشمول والعموم.

ومن خصائص السنن الاجتماعية أنها عامة تنطبق على الجميع، فلا تحابي فرداً من الأفراد ولا جيلاً من الأجيال أو جنساً من الأجناس إنها حكمت الزمن الماضي وتحكم الحاضر وستحكم المستقبل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي كما تنطبق على غير المسلمين تنطبق على المسلمين، وكما تنطبق على العرب وغيرهم من شتى الألوان والأجناس⁽²⁾. قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا

نَصِيرًا⁽³⁾

أي أن القضية ليست مجرد أمنيات أو أحلام؛ بل القضية عمل وجزاء، فالذي يعمل السوء يجز به في الدنيا والآخرة. والله تعالى لا يحابي أحداً ولا يجاهله.

"فلا اعتبار فردي ولا محاباة لأمة على أمة، أو لشعب على شعب كما كان يظن كثير من الناس حين كانوا يعتقدون أن أفعال الله تشبه أفعال الحاكم المستبد في حكومته، المطلق في سلطته، فهو يحابي بعض الناس، فيتجاوز لهم عما يعاقب لأجله غيرهم، ويشيهم على العمل الذي لا يقبله من

(1) يوسف، إبراهيم يوسف، السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، 1418هـ - 1997م ص14-15، بتصرف يسير.

(2) يوسف: السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، ص16.

(3) سورة النساء: 123.

سواهم لمجرد دخولهم في عنوان معين، وانتمائهم إلى نبي مرسل، وينتقم من بعض الناس، لأنهم لم يطلق عليهم ذلك العنوان، أو لم يتفق لهم الانتماء إلى ذلك النبي.

وهكذا كانوا يظنون في دينهم ويسندونه إلى مشيئة الله المطلقة من غير تفكير في حكمته البالغة، وتطبيقها على سنته العادلة، فإن نبيهم منبه إلى ما يصيبهم ما أصاب أنبياءهم من البلاء، قالوا: إنه تعالى يفعل ما يشاء. وذلك رفع درجات أو تكفير للسيئات وأشباه هذا الكلام، الذي يشتبه عليهم... (1)

المطلب الرابع: الحكمة والعدل.

ومن خصائص سنن الله سبحانه وتعالى أنها تتسم بالحكمة والعدل، لأنها من عند الله سبحانه وتعالى؛ فالحكمة من الله سبحانه وتعالى هي: معرفة الأشياء، وإيجادها على غاية الأحكام والإتقان⁽²⁾، وقد وردت بهذا المعنى في القرآن الكريم في عدة مواضع ومنها قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا

أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽³⁾

أما العدل فهو: المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وإن شراً فشر ولذلك فاق الإحسان العدل، لأن الإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه، وكان الشر مذموماً لأنه مقابلة الخير بأقل منه⁽⁴⁾، والآيات الكريمة كثيرة في العدل منها قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁽⁵⁾

(1) رضا: تفسير المنار، 4/140-141.

(2) الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مكة المكرمة، دار الباز للنشر والتوزيع، 2/490.

(3) سورة البقرة: 209.

(4) الفيروز آبادي: بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز، 4/290.

(5) سورة الكهف: 49.

فكل ما يحدث في هذا الوجود، إنما يحدث بناءً على مقتضى عدله وحكمه سبحانه وتعالى، وإذا حقق سنة من سننه في عباده، إنما يكون وراء ذلك حكمة بالغة له عز وجل. ويتجلى العدل الإلهي في السنن من كونها لا تحابي أحداً ولا تتحاز بجانب أحد دون الآخر، فأيما أمة من الأمم اختارت فعلاً إنسانياً معيناً ستترتب عليه النتائج نفسها، سواء كان الذين قاموا بهذا الفعل مسلمين أم غير مسلمين، فإذا كان التنازع هو المقدمة مثلاً كانت النتيجة الفشل وذهاب الربح بغض النظر عن الأمة المتنازعة من تكون⁽¹⁾ ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾⁽²⁾

إذن، فكل ما يحدث في هذا الوجود إنما يحدث بناءً على مقتضى عدله وحكمته سبحانه وتعالى.

ويظهر العدل في سنن الله تعالى في أنها تتعامل مع الأمم والمجتمعات وفق أحوالها سلاماً وفساداً، استقامة وانحرافاً، فالله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وفي الوقت نفسه لا يغفل عن الظالمين المفسدين، وإن كان ظاهر الأمر خلاف ذلك كما قال تعالى: ﴿سَتَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾⁽³⁾

المطلب الخامس: الواقعية.

ومن خصائص السنن الاجتماعية أنها تترتب وفق معتقدات البشر وأفعالهم، فأفعال الناس الصادرة عن معتقدات معينة هي التي يجعلها الله عز وجل سبباً في ترتب بعض السنن عليها⁽⁴⁾.

(1) سعيد: السنن الإلهية في ضوء السنة النبوية سنن الأمم والحضارات نموذجاً، ص 4.

(2) سورة الانفال: 46.

(3) سورة الأعراف: 182-183.

(4) قطب: في ظلال القرآن، 1/17-18.

"فهو تصور تتعامل مع الحقائق الموضوعية، ذات الوجود الحقيقي المستيقن، والأثر الواقعي الإيجابي، لا مع تصورات عقلية مجردة؛ ولا مع "مثاليات" لا مقابل لها في عالم الواقع؛ ولا وجود لها في عالم الواقع"⁽¹⁾.

وكما أن واقعيتها تتحقق من خلال تسخير الله تعالى الناس لفعلها، فالظالم مثلاً عندما يعاقب، يعاقب على أيدي بشر آخرين، ممن هم أقوى منه يداً وأشد منه بطشاً فينتقم الله تعالى من الظالم بظالم مثله، وكذلك الكفار، يعاقبهم الله تعالى بتسلط المؤمنين عليهم⁽²⁾، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ

يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾

(1) قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، بيروت، دار الشروق، 1400هـ - 1980م، ص192.

(2) السحيباني: عبد الحميد بن عبد الرحمن، فقه التاريخ، ص24، www.al.ammah.com.

(3) سورة التوبة: آية 14.

المبحث الرابع

علاقة السنن الاجتماعية بالتربية الإسلامية

إن دراسة السنن الاجتماعية هي جزء من التربية المطلوبة لإنشاء الإنسان الصالح؛ فالقرآن الكريم والسنة النبوية حينما يعرضان لموضوع السنن يهدفان إلى إنشاء إنسان سوي يمشي على صراط مستقيم.

وتعد السنن من الموضوعات المهمة ذات التأثير في مجرى الفكر البشري عموماً، والإسلامي على وجه الخصوص، فهي تتعلق بمنهج التفكير؛ إذ للمنهج الأثر الكبير في توجيه العقل وتربيته على التفكير العلمي الصحيح، واستبعاد التفكير الخرافي⁽¹⁾.

وتعتبر السنن الاجتماعية مناهج ومعالم في طريق التربية والتعليم وإطاراً للتغيير، ومجالاً للإعداد والتكوين، ومتطلباً للاكتشافات والاختراعات العلمية، وإثارة للوعي والاستعداد...⁽²⁾ ففي مجال التغيير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽³⁾، وفي مجال الإعداد والتكوين قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

(1) شهوان، راشد، مدخل إلى السنن الربانية، المؤتمر العلمي السنن الإلهية في الكتاب والسنة، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء، 22- 25/7/2003م، ص26.

(2) أنظر: البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، 1402هـ، ص 177.

(3) سورة الرعد: 11.

وَعَدُّوْكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿١﴾، وفي مجال الاكتشافات العلمية قوله

تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

وخلاصة القول: إن السنن الإلهية هي قوانين الله تعالى العادلة في التعامل مع الخلق والكون والحياة، وإن أهمية السنن تظهر من خلال حث القرآن الكريم والسنة النبوية على البحث عنها وتدبرها والتعامل معها وفق شرع الله تعالى. كما اتبع القرآن الكريم والسنة المطهرة في عرضها أساليب عدة؛ كالصيغة اللفظية، والصيغة الشرطية، والصيغة الإخبارية. وإن للسنن الإلهية خصائص عدة هي: الربانية، والثبات، والشمول، والحكمة والعدل، والواقعية.

(١) سورة الأنفال: 60.

(٢) سورة فصلت: 53.

الفصل الأول

سنة الله في الابتلاء ودلالاتها التربوية، وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

- المبحث الأول: مفهوم الابتلاء، والألفاظ ذات الصلة
- المبحث الثاني: أنواع الابتلاء، والحكمة من تنوعه
- المبحث الثالث: سنن الله في الابتلاء، والحكمة منها
- المبحث الرابع: الدلالات التربوية المستنبطة من سنة الله في الابتلاء

تمهيد

إِنَّ اللَّهَ ﷻ وضع البشر تحت الاختبار ليجزيهم في دار الآخرة على ما قدموا في الدنيا. فحينما ننظر من حولنا نرى أصنافاً متعددة من الإبتلاءات تصيب الأفراد والجماعات، ولا يخلو منها فرد، فهذا مصاب بالمرض، وهذا مصاب بالفقر.. وفي المقابل نجد أفراداً وجماعات يتقلبون في النعيم.

فالإبتلاءات على اختلاف أنواعها، سواء كانت بالخير أم بالشر أم بالتكاليف لم تكن عبثاً، وإنما جعلها العليم الحكيم لحكمة ليظهر إيمان المؤمن، ويظهر نفاق المنافق، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁽¹⁾، أي أن الله تعالى خلق الإنسان ليختبره بالخير

والشر والتكاليف، وزوده بالعقل والسمع والبصر ليستطيع القيام بهذه المهمة⁽²⁾، وقال ﷻ: ﴿الَّذِي

خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾⁽³⁾، فقد جعل الله ﷻ السماوات

والأرض وما فيهما من مخلوقات ونعيم وزينة، ليبنتلي عباده بالاعتبار والتفكير والاستدلال على كمال قدرته، وعلى البعث والجزاء، وليظهر أيهم أحسن عملاً فيما أمر به ونهى عنه، فيجازي

المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته⁽⁴⁾.

(1) سورة الإنسان: 2.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 122/10.

(3) سورة هود: 7.

(4) الشوكاني: فتح القدير، 581/2.

المبحث الأول

مفهوم الابتلاء لغةً واصطلاحاً والألفاظ ذات الصلة

المطلب الأول: مفهوم الابتلاء لغةً واصطلاحاً:

أولاً: مفهوم الابتلاء لغةً

جاء في لسان العرب في باب "بلا": بلوت الرجل بلواً وبلاءً، وابتليته: اختبرته، وبلاه يبلوه بلواً: إذا جرّبه واختبره، وقال الأعرابي: أبلى بمعنى أختبر، وابتلاه الله: امتحنه، والبلاء يكون بالخير والشر، يقال: ابليته بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً⁽¹⁾.

وفي المعجم الوسيط: "ابتلاه: جرّبه وعرفه. والبلاء: الحادث ينزل بالمرء ليختبر به، والبلاء: الغم والحزن، والبلاء: مبالغة الجهد في الأمر.

والبلى: المصيبة، البلى: الشدّيد البلى، البلية: المصيبة، وجمعها بلايا، والبليّة في الجاهلية: الناقة يموت صاحبها فتحبس على قبره حتى تموت⁽²⁾.

مما تقدم يتبين أن الإبتلاء يتناول معانٍ عدة منها: الاختبار والتجريب ويكون هذا الاختبار بالخير والشر.

ثانياً: مفهوم الابتلاء اصطلاحاً:

يُعرّف الإبتلاء بأنه: "اختبار طاعة الإنسان لله تعالى، وإتباع تعاليمه الواردة في القرآن

(1) ابن منظور: لسان العرب، 83/14.

(2) مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، 70/1.

الكريم والسنة النبوية في جميع شؤون الحياة⁽¹⁾.

ويلاحظ أن هذا المفهوم اقتصر على الابتلاء بالتكاليف الشرعية دون التعدي للابتلاء بالخير والشر.

كما يُعرّف بأنه: "الحادث الذي فيه شدة ومشقة وينزل بالمرء لغرض اختباره وامتحانه به"⁽²⁾.

وعُرف بأنه: " ما يصيب الإنسان من أذى في ماله أو نفسه أو عرضه بغير سبب شرعي خلال الحياة الدنيا التي يعيشها"⁽³⁾.

إن هذين التعريفين اقتصرنا على الإبتلاء بالضراء فقط دون التعرض للإبتلاء بالسراء وبالتكاليف الشرعية.

إن، الإبتلاء هو اختبار الله تعالى وامتحانه لعباده بتكاليفه الشرعية، و بالسراء والضراء، وبالنعم والخيرات إظهاراً لصدق عبوديتهم له أو خلاف ذلك.

المطلب الثاني: الألفاظ والمصطلحات ذات الصلة بالابتلاء

ورد في القرآن الكريم ألفاظ عديدة تشير إلى معنى الإبتلاء، منها: **الفتنة**، و**التمحيص**،

و**المحنة**.

وفيما يلي بيان لهذه المصطلحات:

(1) الكيلاني، ماجد عرسان، أصول التربية الإسلامية، دبي، دار القلم، ط/1، 1427هـ _ 2006م، ص188.

(2) زيدان: السنن الإلهية، ص81.

(3) أبو صعليك، محمد، فقه الإبتلاء، الأردن، دار البيارق، 1420هـ - 1999م، ص7.

أولاً: الفتنة

تُعرّف الفتنة لغةً بأنها الاختبار والامتحان، نقول (فتن) الذهب يفتنه بالكسر، ومفتوناً أيضاً إذا أدخله النار لينظر ما جودته⁽¹⁾.

ويقول الأزهرى: "جماع معنى الفتنة في كلام العرب الإبتلاء والامتحان، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب إذا أذنباهما في النار ليطيّر الرديء من الجيد، ومن هذا قول الله ﷻ: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾⁽²⁾، أي يحرقون بالنار⁽³⁾.

وقال ابن القيم في توضيح معنى الفتنة: "ولفظ الفتنة في كتاب الله تعالى يُراد بها الامتحان الذي لم يفتتن صاحبه، بل خلاص من الافتتان، ويُراد بها الامتحان الذي حصل معه افتتان، فمن الأول: قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَقَنَّكَ فَتُونًا﴾⁽⁴⁾، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾⁽⁵⁾، وقوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾⁽⁶⁾، ويطلق على ما يتناول الأمرين، كقوله تعالى: ﴿الْم ﴿1﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾⁽⁷⁾، ومنه قول

﴿2﴾ وَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾⁽⁷⁾، ومنه قول

(1) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الحديث، ص490.

(2) سورة الذاريات: 13.

(3) الأزهرى، أبو المنصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 296/14.

(4) سورة طه: 40.

(5) سورة الأنفال: 39.

(6) سورة التوبة: 49.

(7) سورة العنكبوت: 1-3.

موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾⁽¹⁾، أي امتحانك وابتلاؤك تضل بها

من وقع فيها، وتهدي من نجا منها⁽²⁾.

ويبين الأصفهاني وجه الشبه بين الفتنة والابتلاء من حيث الاستعمال، إذ يقول: "وَجُعِلَت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان، من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً"⁽³⁾.

ثانياً: التمهيص

وأما التمهيص فقد جاء في محيط المحيط: محصّ فلاناً ابتلاه، واختبره، والشيء نقصه، يُقال محص الله من فلان ذنوبه أي أنقصها وأذهب ما تعلقت به من الذنوب وطهره وصفاه منها⁽⁴⁾.

وقال صاحب المفردات: أصل المحص تخليص الشيء مما فيه من عيب كالفحص، لكن الفحص يُقال في إبراز شيء من أثناء ما يختلط به، وهو منفصل عنه، والمحص: يقال في إبرازه عما هو متصل به.

(1) سورة الأعراف: 155.

(2) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصادد الشيطان، دار المعرفة، 159/2.

(3) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت _ لبنان، دار الكتب العلمية، 1425هـ - 2004م، ص 416.

(4) البستاني، بطرس، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، 1987م، ص 840.

يُقال محصت الذهب: إذا أزلت عنه ما يشوبه من خبث، قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁽¹⁾،

وقال: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾⁽²⁾، فالتمحيص هنا كالتركية والتطهير ونحو ذلك من الألفاظ⁽³⁾.

ثالثاً: المحنة

أما المحنة فقد ورد في لسان العرب: "ومحنته وامتحنته بمنزلة خبرته واختبرته، ويلوته، وابتليته، وأصل المحن: الضرب بالسوط، وامتحنت الذهب والفضة: إذا أدبتهما لتختبرهما حتى خلصت الذهب والفضة"⁽⁴⁾.

ومما تقدم يتبين أن هذه الألفاظ متقاربة في دلالتها على معنى واحد ألا وهو الاختبار لإظهار جوهر الشيء وحقيقته، وزيفه من أصلته.

(1) سورة آل عمران: 141.

(2) سورة آل عمران: 154.

(3) الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 518.

(4) ابن منظور: لسان العرب، مادة محن، 401/13.

المبحث الثاني

أنواع الابتلاء والحكمة من تنوعه

المطلب الأول: أنواع الابتلاء

مضت سنة الله في إبتلاء عباده بأنواع مختلفة لحكم عديدة، كإبتلائهم بالتكاليف الشرعية، وبالخير والشر، وفيما يلي بيان لصور الابتلاء وأنواعه والحكمة من تنوع هذه الصور:

أولاً: الابتلاء بالتكاليف الشرعية

من سنته تعالى في خلقه أنه جعل أساس الإبتلاء نابعاً من تكليفهم بطاعته سبحانه وتعالى، وعمارة الأرض بعبادته، وجعل التكليف تشريعاً لمن يقوم به من المكلفين، فهو موجّه للبشرية جميعاً منذ أن خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام، حيث قال ﷻ عندما أهبطا إلى الأرض:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

﴿38﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁽¹⁾.

فالله ﷻ خلق الإنسان ليبتليه بسلوك طريق الهدى، أو طريق الضلال، ووهب له الوسائل التي تمكنه من النجاح في هذا الابتلاء من سمع وبصر، وزوده بالقدرة على المعرفة، وبيّن له طريق الهدى وطريق الضلال، ثم تركه ليختار أحد الطريقتين، طريق الهدى والإيمان والطاعة، أو

(1) سورة البقرة: 38 - 39.

طريق الضلال والكفر والمعصية⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُفْثَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ

سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿2﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿2﴾، فالمفسرون خصصوا الابتلاء

في هذه الآية بالاختبار بالتكاليف، فقله (نبتليه)، أي: نكلفه بالعمل بعد الخلق⁽³⁾.

فإنه ﷻ إنما خلق الخلق لعبادته وهي الغاية التي من أجلها خلُقوا ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا

لِيَعْبُدُونِ﴾⁽⁴⁾، ومعلوم أن كمال العبودية المطلوب من الخلق لا يحصل في دار النعيم والبقاء، وإنما

يحصل في دار المحنة والابتلاء، وأما دار البقاء فدار لذة ونعيم لا دار ابتلاء وامتحان وتكليف⁽⁵⁾.

فالعبادة هي: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة،

كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبرّ الوالدين، وصلة الرحم،

والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان

للجار واليتيم، والمسكين، وابن السبيل، والدعاء والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من العبادة⁽⁶⁾.

ومن الأمثلة على صبر المسلم على التكاليف الشرعية، صبره على أداء العبادات؛ كالصلاة،

والصيام، والزكاة، والحج، والجهاد. فصبره على الصلاة، حينما يؤدي الفرائض والنوافل على

(1) قطب: في ظلال القرآن، 6/3780.

(2) سورة الإنسان: 2 - 3.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 10/122.

(4) سورة الذاريات: 56.

(5) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي، مفتاح دار السعادة، بيروت-لبنان، دار الكتب

العلمية، 5/1.

(6) ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، العبودية، دار البشير، 1992م، ص32.

أكمل وجهه بغض النظر عن وضعه الصحي أو ظرفه الاجتماعي، قال تعالى: ﴿وَأَنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا

عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾⁽¹⁾، أي أن فيها - الصلاة - أموراً ثقيلة على أن أفعالها، وأن شيئاً ثقیلاً على أن

أتركه⁽²⁾، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽³⁾

فترك المسلم لمضجعه في الحر والبرد، في الليل والنهار ليؤدي ما فرض عليه؛ فإنه بذلك

يكون قد استجاب لأوامر الله ﷻ كما قال تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا

وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾⁽⁴⁾.

والمسلم يمتثل لأمر الله تعالى، وقدوته في ذلك الرسول ﷺ، فقد قام الليل حتى تشققت

قدماه، فعن المغيرة بن شعبة يقول: كان النبي ﷺ ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه، أو ساقاه،

فيقال له، فيقول: "أفلا أكون عبداً شكوراً"⁽⁵⁾.

وصبر المسلم على الصلاة - أيضاً - يكون بالمحافظة عليها، وأدائها على وقتها، وعدم

تأخيرها لحين دخول وقت الصلاة الأخرى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا

مَوْقُوتًا﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة البقرة: ص 45.

(2) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، منشورات أخبار اليوم، 1274/2.

(3) سورة البقرة: 153.

(4) سورة السجدة: 16.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التهجد (الصلاة)، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه، حديث رقم

(1130)، ص 240.

(6) سورة النساء: 103.

وكذلك إخلاص النية لله تعالى في هذه العبادة، والبعد عن الرياء، والإشراك بالله عز وجل،
شريطة أن تكون موافقة لشرعه سبحانه وتعالى.

وأما الصيام، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾؛ فالمسلم يمتثل لأمر الله تعالى، ويترك شهوات نفسه

وملذاتها إيثاراً لمحبة الله تعالى ومرضاته، ولا يقتصر على ما فرض عليه من شهر رمضان؛
وإنما يتطوع في ذلك، سواء أكان ذلك في الصيف أم في الشتاء، في الحر والبرد، مع طول النهار
أو قصره.

وأما الحج، فقد قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ

فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁽²⁾، فالمسلمون يأتون لأداء مناسك الحج من أي قطر كانوا وفي أي بلد تواجدوا تلبيةً

لنداء المولى سبحانه وتعالى متحملين في ذلك مشاق السفر ومخاطره، فضلاً عن إرهاقهم الجسدي
أثناء أداء هذه المناسك، صابرين على محظورات الإحرام.

وأما الزكاة، فمعلوم أن الإنسان يُحبُّ المال، ونفسه تميل إليه، فحينما يخرج به إلى مستحقه

فإنه يصبر على ذلك قربة لله تعالى وطمعاً في نيل جناته، سواء كان ذلك زكاة مفروضة أم غير
مفروضة؛ كالصدقة والوصية، والهبة... إلخ.

(1) سورة البقرة: 183.

(2) سورة الحج: 27.

وأما **الجهاد**، فحينما ينادى إليه يستجيب المسلم لأمر الله تعالى تاركاً الدنيا وملذاتها، والحياة ومتاعها، تاركاً الولد والزوجة والأهل والأموال، إرضاءً للمولى ﷺ، وطمعاً في جنته. فصبرُ المسلم على هذه العبادات دليل على محبته لله سبحانه وتعالى، وخوفه من عذابه، وطمعه في جناته التي أعدها للمتقين من عباده، ورفعاً لدرجاته في الدنيا والآخرة.

ثانياً: الابتلاء بالضراء

فكما أن المولى ﷺ يبذل عبادته بالتكاليف الشرعية كذلك من سنته أن يبذل عبادته بالضراء؛ كالمرض، وفقد الولد، ونقص الأموال، والخوف، والجوع... إلخ. فالإنسان من بداية خلقه إلى انتقاله إلى الحياة الآخرة وهو يواجه كثيراً من المصائب والشدائد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ

كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾⁽¹⁾، "قال الدنيا مستودع المصائب، وليس فيها لذة على الحقيقة إلاّ

وهي مشوبة بالكدر، فكل ما يظن في الدنيا شراب فهو سراب، وعمارتها وإن حسنت صورتها خراب، وجمعها فهو للذهاب، ومن خاض الماء الغمر لم يخلُ من بلل، ومن وحل بين الصفيين لم يخلُ من وجل، فالعجب كل العجب ممن يده في سلّة الأفاعي كيف ينكر اللسع، وأعجب منه من يطلب من المطبوع على الضر أن يأتي منه النفع"⁽²⁾.

(1) سورة الانشقاق: 6.

(2) المنبجي الحنبلي، أبو عبد الله محمد بن محمد، تسليّة أهل المصائب، مكتبة الفرقان، 403 هـ، ص 22.

وقد وردت نصوص عديدة تبين إبتلاء الله تعالى لعباده المؤمنين بالضراء، فمن القرآن

الكريم قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ⁽¹⁾.

"أي والله لنمتحنكم ببعض ضروب الخوف من الأعداء، وبعض المصائب المضادة في المعاش، كالجوع ونقص الثمار، إذ كان أحدهم يؤمن فينفصل من أهله وعشيرته، ويخرج صفر اليدين، حتى لقد بلغ من جوعهم أن كانوا يتبلغون بثمرات يسيرات، ولاسيما في غزوتي الأحزاب وتبوك، وبنقص الأنفس بالقتل والموت من أجواء المدينة، فقد كانت حين الهجرة بلد وباء وحمى، ثم حسن مناخها.

وفي الآية إيماء إلى أن الإنتساب إلى الإيمان لا يقتضي سعة الرزق وبسط النفوذ وانتقاء المخاوف، بل كل ذلك يجري بحسب السنن التي سنّها الله لخلقه، فتقع المصائب متى وجدت أسبابها، وكامل الإيمان يتأدب بمقاومة الشدائد، ويتهدب بوقوع الكوارث⁽²⁾.

وبين الشوكاني رحمه الله في فتح القدير بأن المراد بالخوف، ما يحصل لمن يخشى من نزول ضرر به من عدو أو غيره، وبالجوع: المجاعة التي تحصل عند الجذب والقحط، وبنقص الأموال: ما يحدث فيها بسبب الجوائح، وما أوجبه الله فيها من الزكاة ونحوها، وبنقص الأنفس: الموت والقتل في الجهاد، وبنقص الثمرات: ما يصيبها من الآفات⁽³⁾.

(1) سورة البقرة: 155.

(2) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط/2، 1985م، 24/2.

(3) الشوكاني: فتح القدير، 159/1.

يقول ابن القيم _رحمه الله_ مبيناً أقسام البلاء التي تصيب المؤمن: "اعلم أن البلاء الذي يصيب العبد في الله لا يخرج عن أربعة أقسام، فإنه إما : أن يكون في نفسه أو ماله أو في عرضه أو في أهله ومن يحب، والذي يحب في نفسه قد يكون مثلفها تارة، ومؤلمها بدون التلف، فهذا مجموع ما يبتلى به العبد في الله، وأشهر هذه الأقسام المصيبة في النفس⁽¹⁾.

فعلى العبد أن يلجأ بالدعاء إلى الله تعالى بأن لا تنزل به المصائب والفتن، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: "سلوا الله العفو والعافية"⁽²⁾، وإن وقع البلاء؛ فعليه أن يصبر ويحتسب الأجر عند المولى ﷻ لترفع درجاته في الدنيا والآخرة.

ومن الأحاديث النبوية الشريفة، أن الرسول ﷺ سئل: "من أشد الناس بلاء؟ قال الأنبياء، قال: ثم من؟ قال: العلماء، قال: ثم من؟ قال: الصالحون، كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله، ويبتلى أحدهم بالفقر، حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها"⁽³⁾.

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: "قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلأً اشتد بلاءه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على

(1) ابن القيم، عبد الله بن عبد الرحمن، مختصر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، الرياض، دار اليمامة، 1392هـ - 1972م، ص358.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه، باب أي الكلام أحب إلى الله. 5/ 576، حديث رقم (3594)، قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

(3) محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، كتاب الإيمان، حديث رقم (119)، 99/1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1990م

الأرض وما عليه خطيئه⁽¹⁾، وهذا كناية عن خلاصة من الذنوب فكأنه كان محبوساً ، ثم أطلق وخلى سبيله يمشي وما عليه بأس⁽²⁾.

نماذج من الابتلاء بالضراء

إن من يستعرض سيرة الأنبياء والرسل عليهم السلام، والدعاة والمصلحين، وحملة العقيدة والفكر على مر العصور؛ يجدهم قد تعرضوا لألوان من الابتلاء في سبيل عقيدتهم ومبادئهم، ومن صور ذلك:

1. سيدنا محمد ﷺ

إن حياة الرسول ﷺ كانت كلها ابتلاءات منذ أن ولد إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، وذلك لم يكن لذنوب ارتكبه أو لمعصية فعلها ليطهره منها؛ وإنما لرفع درجاته عند الله تعالى، ولتهيئته لتحمل مشاق الدعوة، ومن الإبتلاءات التي أُبتلي بها الرسول ﷺ:

- أ- رفض المقربين من أهله لدعوته، ومحاربته بشتى الطرق والوسائل، كأمثال أبي لهب.
- ب- إبتلاء الرسول ﷺ بشدة المرض؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت: يا رسول الله إنك توعدك وعكاً شديداً، قال: أجل، إني أوعك كما يوعك

(1) أخرجه الترمذي في جامع، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (2389)، 4/ 601، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(2) المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط/3، 1399هـ - 1979م، 78/7 - 79.

رجلان منكم، قلت: ذلك أن لك أجرين؟ قال: "أجل" ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها"⁽¹⁾.

ج- ابتلاؤه ﷺ بوفاة عمه وزوجته في عام واحد⁽²⁾.

فعلى الرغم من كل ما ألم به ﷺ من الآلام والأحزان؛ إلا أنه بقي ثابتاً على مبدئه، متمسكاً بعقيدته، منتصراً لدعوته، صابراً على أذى قومه، حتى استطاع نشر الإسلام.

2. ابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ولده اسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي

أمرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين

﴿ 102 ﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿ 103 ﴾ وَتَادِيْنَاهُ أَنْ يَا إِسْرَاهِيْمُ ﴿ 104 ﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿ 105 ﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿ 106 ﴾ وَقَدِيْنَاهُ بِذَبِيْحٍ عَظِيْمٍ ﴿ 3 ﴾.

يتبين من خلال الآيات الكريمة ابتلاء الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه الوحيد بعد أن شبَّ وأصبح غلاماً تقرأ به العين، ومع ذلك نجد أن سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه اسماعيل عليه السلام قد امتثلا لأمر الله تعالى، ولكن من رحمته تعالى أن فداه بذبح عظيم جاء به جبريل عليه السلام من الجنة.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة "تبت يدا أبي لهب وتب" (المسد)، حديث رقم (4971)، ص 1097.

(2) أنظر: المباركفوري، صفى الرحمن، الرقيق المختوم، مكة المكرمة، دار المستقبل، ط/1، 1426هـ—2005م، ص 90.

(3) سورة الصافات: 99 - 111.

3. ابتلاء سيدنا أيوب عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ

وَعَذَابٍ ﴿41﴾ اٰمُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿42﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ اٰهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ

مِرْحَمَةً مِّنَّا وَذَكَرَ لِلْاُولٰٓئِى الْاَلْبَابِ ﴿43﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ اِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ

الْعَبْدُ اِنَّهُ اَوَّابٌ ﴿1﴾، والضرر الذي أُبتليَّ به أيوب عليه السلام كما يفيد ظاهر النصوص ضرر في نفسه وضرر

في أهله (2).

فكان عليه السلام صابراً على ما ألمَّ به من آلام وأعراض فكانت النتيجة أن عافاه الله مما به من

ابتلاءات، فأمره الله تعالى: ﴿اٰمُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (3)، فاغتسل وشرب من

هذا الماء فذهب ما به من ضرر في جسمه، ثم أعقب ذلك بأن أنعم عليه بأن ردَّ إليه أهله وكافأه

زيادة على ذلك بمثلهم (4).

4. ابتلاء الله تعالى المؤمنين بالهزيمة يوم أحد؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّٰهُ وَعْدَهُ

إِذْ تَحْسَبُونَهُم بِأَذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَمَرَكُمْ مَا تُحِبُّونَ

(1) سورة ص: 41 - 44.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 6/323.

(3) سورة ص: 42.

(4) الشوكاني: فتح القدير، 4/436.

مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ

عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

فإن الله ﷻ صرف المؤمنين عن الكافرين، وحلّت الهزيمة بالمؤمنين ليبتليهم بالشدة والهزيمة والقتل، فيتميّز في هذا الامتحان المؤمن الصابر من غيره من المنافقين، فيتوب المؤمنون إلى الله ويستغفرونه (2).

فالحكمة من إبتلاء المؤمنين بالهزيمة ليُعلم المؤمن الصابر من المنافق المخادع، ولولا صبر المؤمنين لما انتشر الإسلام في كل بقاع العالم.

ثالثاً: الابتلاء بالسراء

فكما يبتلي المولى ﷻ عباده بالشر يبتليهم بالخير، حيث إنه تعالى يبتلي عباده بالضراء ليلجأوا بالدعاء إليه فيكشف ما بهم من ضرٍّ إن شاء، ويبتلي عباده بالسراء ليشكروه ﷻ، فيحفظ عليهم تلك النعم، ويزيدهم من فضله (3)، قال تعالى: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (4).

(1) سورة آل عمران: 152.

(2) الرازي، فخر، التفسير الكبير، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط/1، 1425هـ — 1995م، 388/3.

(3) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط/1، 1403هـ — 1983م، ص161-163.

(4) سورة الأنبياء: 35.

قال ابن كثير: "أي نخبركم بالمصائب تارة، وبالنعم أخرى، فننظر من يشكر ومن يكفر، ومن يصبر ومن يقنط..، وعن ابن عباس قال: (ونبلوكم) يقول: نبتليكم بالشر والخير فتنة، وبالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال"⁽¹⁾.

والإبتلاء بالخير أعظم وأشدّ من الإبتلاء بالشر، يقول سيد قطب: "فأما الإبتلاء بالخير أشدّ وطأة، وإن خيّل للناس أنه دون الإبتلاء بالشر، إن كثيرين يصمدون للإبتلاء بالشر، ولكن القلّة القليلة هي التي تصمد للإبتلاء بالخير، كثيرون يصبرون على الإبتلاء بالمرض والضعف، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الإبتلاء بالصحة والقدرة، ويكبحون جماح القوة الجامحة في أوصالهم، لذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح، حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الإبتلاء؛ وذلك شأن البشر.. إلّا من عصم الله فكانوا ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كلّ خير، وليس ذاك لأحد إلّا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له"⁽²⁾، وهم قليلون، فاليقظة للنفس في الإبتلاء بالخير أولى من اليقظة لها في الإبتلاء بالشر، والصلة بالله وحدها هي الضمان"⁽³⁾.

(1) ابن كثير: أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 957.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كلّ خير، حديث رقم (2999)، ص 756.

(3) قطب: في ظلال القرآن، 4/2378.

ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "بُلِينَا بِالضُرَاءِ فَصَبِرْنَا، وَبُلِينَا

بِالسَّرَاءِ فَلَمْ نَصْبِرْ"⁽¹⁾، ولهذا كان الإبتلاء بالخير أعظم من الإبتلاء بالضراء.

ومن صور الإبتلاء بالنعم الإبتلاء بالأموال والأولاد والنساء، قال تعالى: ﴿نَزِينُ لِلنَّاسِ حُبُّ

الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَآءِ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلًا﴾⁽³⁾، فهذه الآيات الكريمة تخبرنا عن كل ما زين للناس في هذه

الحياة الدنيا، من متاع وأموال وزوجة وأولاد، فإذا أبتلى الإنسان بمثل هذه الأصناف فإنه يجب

عليه أن يشكر الله تعالى على ما أنعم عليه من النعم العديدة، وأن لا يغتر بما أغدق الله تعالى عليه

من هذه النعم لأنها قد تكون استدراجاً له من الله عز وجل، فيأخذه بالعذاب الأليم.

نماذج من الإبتلاء بالسراء

يُقدم لنا القرآن الكريم قصصاً لأناس قد امتحنوا بالخير وصبروا على ذلك، وشكروا الله

عزَّ وجلَّ على هذه النعم، ومن هؤلاء: سيدنا سليمان عليه السلام.

إنَّ الله ﷻ أبتلى سليمان عليه السلام بالنعم العديدة، كنعمة العلم وقوة السلطان، والسيطرة في

الأرض، وتسخير الرياح يصرفها كما يشاء، قال تعالى: ﴿وَكِسْلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى

(1) المحاسبى، الحارث بن أسد، رسالة المسترشدين، تحقيق عبد الفتاح أبو غده، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط/3، 1394هـ - 1974م، ص52.

(2) سورة آل عمران: 14.

(3) سورة الكهف: 46.

الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿١﴾، فكان من الشاكرين لله ﷻ على النعم، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ

عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيُلَاقِيَ

الشَّاكِرِينَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٢﴾.

فحينما أحضر له العرش لم يبتهج بسلطانه ولا بمقدرة رجاله ولكنه أنصرف إلى شكر الله

تعالى على ما منحه من فضل، وأعطاه من جند مسخرين بالعلم والقوة، فمزايا جميعهم وفضلهم

راجع إلى تفضله ﴿٣﴾، فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤﴾.

المطلب الثاني: الحكمة من تنوع الابتلاء

نرى في حياتنا الأصناف العديدة من الابتلاءات التي تصيب الناس؛ فنجد من هو مصاب

بالمريض، وآخر بالفقر، ثالث بفقد الولد، وبالمقابل هناك أناس آخرون يتقلبون بالنعيم والخيرات

ويتمتعون بالصحة والعافية.

وقد يتساءل المسلم: ما الحكمة من تنوع الابتلاءات؟

لعل الحكمة من ذلك: أن تنوع الابتلاءات أمر ضروري لتحقيق جوهر ما يسمى فتنه

وابتلاء، فإن فتنه الفقر لا وجود لها إلا بجانب وجود الغنى، وفتنة المال وطريقة توزيعه، لا تتم إلا

(1) سورة الأنبياء: 81.

(2) سورة النحل: 41.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 272/19.

(4) سورة ص: 30.

مع وجود الفقر والحاجة معه، ولولا المرض وآلامه، لما تجلت نعمة الصحة والعافية، ولولا ما يعلمه الناس من لذة العافية وسلامة الأجسام، لما اشتد خوفهم على أنفسهم من الأسقام والآلام⁽¹⁾. وتوزيع هذه المحن والابتلاءات تقوم على حكمة باهرة، تتصل بالمعنى التربوي الذي يأخذ الله به عباده، فإن بلاء الفقر قد يكون علاجاً لبعض الناس في علاقاتهم بخالقهم، وقد يكون الداء الوبيل في حق آخرين، وقد يكون استمرار الصحة عنصر شر بالنسبة لفئات من الناس، على حين يكون هذا الاستمرار نفسه وسيلة خير واستقامة بالنظر إلى آخرين⁽²⁾.

ومن تأمل سيرة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - يرى كثيراً من المصالح الدنيوية التي أعقبت تلك الابتلاءات التي حصلت لهم، فكم من حكمة ومصلحة ترتبت على خروج الرسول من مكة في الهجرة حزيناً، وعودته إليها منتصراً، ودخل الناس في دين الله أفواجا! وكذا وقع لجميع الرسل من الابتلاءات، ما ترتب عليه مصالح كثيرة، ما كانت لتكون لولا تلك الابتلاءات⁽³⁾.

لذا، فلا يجوز للمسلم أن يتهم ربه في هذه الابتلاءات التي تصيب الناس، سواء أظهر له وجه الحكمة منها، أو خفي عنه. فكم رأينا في حياتنا أناساً عاشوا صدر حياتهم في غفلة عن الله، أسكرتهم النعمة وأبطرتهم العافية، أطغاهم المال؛ فابتلاهم الله تعالى بأمراض في جسامهم، أو إقلال في أموالهم، فنبههم البلاء الذي هزهم، واعادهم شيئاً فشيئاً إلى حضيرة العبودية لله جل جلاله، ثم أبدلهم الله عز وجل بالخير الذي فاتهم، ونعيم الأنس بذاته، ولذة الإنابة إلى هدية⁽⁴⁾.

(1) البوطي، محمد سعيد، الإنسان وعدالة الله في الأرض، دمشق - سوريا، مكتبة الفارابي، ط/2، 1392هـ، ص 67.

(2) البوطي: الإنسان وعدالة الله في الأرض، ص 68.

(3) ابن القيم الجوزية، شمس الدين، شفاء العليل، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ص 224، بتصرف.

(4) البوطي: الإنسان وعدالة الله في الأرض، ص 70-71.

المبحث الثالث

سنن الله في الابتلاء والمحكمة منها

المطلب الأول: سنن الله في الابتلاء

مضت سنة الله تعالى في خلقه بالابتلاء والمحن، فما من فرد ولا أسرة ولا مجتمع؛ إلا والجميع معرض للسنن الابتلاء، وهذه السنن لا تتغير ولا تتبدل كما وصفها سبحانه وتعالى في مواضع عدة، ومن هذه السنن ما يأتي:

السنة الأولى: الابتلاء وخلق الإنسان

يقرر الله سبحانه وتعالى لكل إنسان بعد مائة وعشرين يوماً من خلقه في رحم أمه وفي لحظة نفخ الروح فيه خمسة أمور، وهي:

1- مواد ابتلائه، أي أشكال الرزق ودرجات المكانة الاجتماعية؛ أي اختبار وامتحانه بعد ولادته ونزوله إلى الأرض.

2- مدة هذا الابتلاء والسنن التي تحكم طول هذه المدة أو قصرها.

3- المواقف العملية والبيئات التي سوف يتم من خلالها.

4- المواطن التي سوف تجري فيها سلسلة هذه الابتلاءات.

5- النتائج التي سوف يحصل عليها في حالة النجاح في الابتلاء، أو الفشل الذي

سيصيبه⁽¹⁾.

(1) الكيلاني: أصول التربية الإسلامية، ص 208.

وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" (1).

فهذه السنة تبين لنا أن الإنسان يبنتلى وهو في رحم أمه؛ أي أن الابتلاء لا يكون بعد الولادة فقط؛ وإنما قبل الولادة وبعدها، وذلك حينما تنفخ فيه الروح؛ فيبنتلى برزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.

السنة الثانية: عموم الابتلاء (الكل مبتلى)

إن الناظر في هذا الكون وما فيه من موجودات، يرى أن جميع الأفراد يعترتهم الابتلاء؛ إما بالخير بغدق الأموال، والصحة، وسعة العيش، وإما بالشر؛ كال فقر، والمرض، وضيق العيش، وفقد الولد، وهكذا. فلا نجد فرداً قد خلت حياته من هذه الابتلاءات؛ فهي سنة عامة لا يستثنى منها مكلف.

والنفس لا تركو حتى تمحص بالبلاء؛ كالذهب الذي لا يخلص جيده من رديئه حتى يفتن في كير الامتحان، فالنفس ظالمة وهي منشأ كل شر يحصل للعبد، فلا يحصل له شر إلا منها (2)،

(1) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب القدر، باب: كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابه رزقه وأجله وعمله، حديث رقم (2643)، ص 671.

(2) ابن قيم الجوزية: الفوائد، ص 204 بتصرف.

"وقد جُعِلَ هذا القانون العام في الابتلاء بشتى صورته أصلاً لهذا الوجود، فإنك لا تجد إنساناً حياً إلا وقد ابتلي برزق أو نفس أو هم أو صحة أو أمر آخر من صنوف الابتلاء، وجعل الله تعالى السلاح المقاوم لقانون الابتلاء هذا قانون الصبر الذي خص به المؤمنين من عباده، إذ لا يستطيع تحمل مشاق الابتلاء وفهم فلسفته وضرورياته وما يقابله من صبر وتحمل إلا من عمَرَ قلبه بالإيمان، وهم خاصة الله وأحبائه أهل القرآن والإيمان"⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾.

السنة الثالثة: استمرار الابتلاء وتطوره

إن سنة الابتلاء سنة ربانية أجراها الله تعالى في حياة البشر. كما أن هذه السنة عامّة للأفراد والأمم والجماعات وهي كذلك مستمرة مع الإنسان منذ ولادته إلى انتقاله إلى الحياة الآخرة، وذلك لأن الإنسان في تطور مستمر، وتغير من حال إلى حال، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا

مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽³⁾.

(1) العبيدي، خالد فائق، القوانين القرآنية للحضارات، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1426هـ-

2005م، ص163.

(2) سورة فصلت: 35.

(3) سورة الكهف: 7.

وإن طبيعة الحياة الدنيا، وطبيعة البشر فيها تجعلان من المستحيل أن يخلو المرء من كوارث تصيبه، وشدائد تحل بساحته، وهذه هي سنة الله تعالى في الحياة الدنيا، وهو سبحانه الذي خلق الموت والحياة، وزين الأرض لابتلاء عباده وامتحانهم⁽¹⁾.

السنة الرابعة: ثنائية الابتلاء⁽²⁾

ففي الوقت الذي يُبتلى إنسان بالخير يكون معه إنسان مُبتلى بالشر؛ أي أنه في كل موقف ابتلاء يكون هناك زوجان متقابلان: أحدهما يبتلى بمظهر "الخير"، وثانيهما يبتلى بمظهر "الشر"؛ فالذين يُبتلون بالغنَى في موقف ما، يشاركونهم في نفس الموقف أناس يبتلون بالفقر، والذين يُبتلون بالقوة في موقف ما، يشاركونهم في نفس الموقف أناس يبتلون بالمرض، وهكذا...

فالناس في كل موقف من مواقف الحياة زوجان متقابلان في "علاقة" الابتلاء، وينتج عن هذا الابتلاء المتبادل أفعال العباد من طاعة ومعصية، ومظاهر الصواب والخطأ، الفضيلة والرذيلة؛ إذ يطلب إلى الأزواج المتقابلة أن تستجيب لأوامر الله تعالى وتوجيهاته فيما يخص دورها في موقف الابتلاء.

فالمبتلى بالغنَى يقابل ذلك بالشكر والحمد للمولى عز وجل، وأن ينفق من هذا المال في وجوه الخير المشروعة، وأما الفقير فيواجه الفقر بالعمل الدؤوب، والإنتاج المستمر.

ويطلب من المُبتلين بالعلم أن يسعوا إلى نشر العلم، وتعليم الناس ما ينفعهم في الدنيا والآخرة، بينما يُطلب من المُبتلين بالجهل أن يسعوا في البحث عن العلم وتطبيقه.

(1) صالح، عبد الله ميرغني محمد، الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين، ط/1، 1408هـ-1987م، ص25.

(2) الكيلاني، ماجد عرسان، فلسفة التربية الإسلامية، عمان-الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ط/1،

1430هـ-2009م، ص249، بتصرف.

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى الحكمة من هذه السنة في آيات عديدة، منها قوله تعالى:

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُلْوَكَ فِي مَا آتَاكُمْ﴾⁽¹⁾

السنة الخامسة: المحنة والمنحة ابتلاء

فالله تعالى يختبر عبده تارة بالسراء ليشكره، وتارة بالضراء ليصبر، فمن شكر كان خيراً له، ومن جحد وتذمّر واشتكى كان شراً له، وبذلك صارت المحنة والمنحة بلاء؛ فالمنحة تتطلب شكراً، والمنحة تتطلب صبراً، وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً" ⁽²⁾.

والشكر الذي أشار إليه الحديث الشريف ليس ما قد نظنه من تحريك اللسان بالثناء؛ وإنما هو تسخير الإنسان لجميع ما أنعم الله به عليه لما قد خلق من أجله؛ وذلك بأن لا يستعمل شيئاً من تلك النعم في غير أمر مشروع، وأن يستخدمه في سبيل المبدأ الذي خلق من أجله، فإن لم يفعل ذلك وانحرف في الاستفادة من تلك النعم عن هذا الصراط الذي ألزم به، انقلبت النعمة كلها وبالاً وشقاءً عليه فيما بعد ⁽³⁾.

⁽¹⁾ سورة الأنعام: 165.

⁽²⁾ أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (2999)، ص 756.

⁽³⁾ البوطي: الإنسان وعدالة الله في الأرض، ص 36.

السنة السادسة: تعاقب شكلي الابتلاء

الابتلاء بالخير والشر يتعاقبان، فلا نجد الإنسان يبتلى بالخير فقط، أو بالشر فقط؛ وإنما يبتلى بالخير والشر على حدٍ سواء، فنجد أنه تعزّيه الصحة والعافية أحياناً، والمرض أحياناً أخرى، والغنى تارة، والفقر تارة أخرى وهكذا، فلا يبقى على حالٍ واحد طوال العمر.

"والجهل بهذه السنة يقود إلى الاصطدام بها ويفرز سلسلة من المضاعفات النفسية الاجتماعية والثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية، التي ربما انتهت بالإنسان إلى الدمار، والإنسان يكابد كل هذه المضاعفات، فإذا لم يسترشد ببصائر الآيات الإلهية أصابه الهلع المفضي إلى القنوط في حالة "الابتلاء بالشر"، وانتابه البطر المفضي إلى الاستهتار في حالة "الابتلاء بالخير"، ويقدم القرآن أمثلة واقعية لهذه المواقف الإنسانية الشاذة في آيات كثيرة، منها قوله تعالى:

﴿وَكُنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ يَكُفِّرُ كَفُورًا ۖ وَكُنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ

بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورًا ۖ﴾⁽¹⁾.

أما حين يسترشد الإنسان بالتوجيهات الإلهية والسنة النبوية فإنه لا يفرح فيما أتاه الله ولا ييأس على ما فاتته، ويعد لكل حالة من حالي الابتلاء عدة الصبر الجميل أو الصبر الشكور مما ينتهي به إلى النجاح فتنتهي الحالتان خيراً له⁽²⁾، فيصبح الابتلاء بالنسبة للمسلم محنة ومنحة من الله تعالى في آنٍ واحد توجب الصبر الجميل، والشكر لله تعالى على الخير والصلاح والنصر والنجاح في الدنيا والآخرة.

(1) سورة هود: 9-10.

(2) الكيلاني: أصول التربية الإسلامية، ص 211.

السنة السابعة: بداية الابتلاء ونهايته (للابتلاء بداية ونهاية)

إن الابتلاء بنوعيه الخير والشر له بداية، وله نهاية ينتهي إليها، فمهما طال الليل لا بد من بزوغ الفجر، ومهما اشتد البلاء وعظم المصائب لا بد وأن ينجلي ويزول، ويظهر فرج المولى عز وجل، ولكن على المسلم أن لا يستعجل الفرج؛ بل عليه أن يوطن نفسه على الصبر على ما أصابه، ويحتسب الأجر عند الله تعالى؛ إذ إن الشكوى والتذمر يحبطان الأجر والثواب، يقول البوطي في ذلك: "فلا يضجر إن أصابه بلاء، ولا يتمرد على حكم الله إن أطبق عليه أي كرب ثم يدرك أن الله عز وجل أحكم الحاكمين وأعدل العادلين، فلا يضئع للإنسان جهداً بذله في سبيل خير، ولا يهمل له حقاً اغتصبه منه ظالم، ولا يترك له أي ظلم اقترفه أو جريمة اكتسبها، بل يقضي بين عباده في ذلك كله يوم الجزاء الموعود، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"⁽¹⁾، فيجب عليه أن تكون ثقته بالمولى عز وجل كبيرة، بأنه سيكشف ما أصابه من ضرر، وأن لا ييأس ويقنط من رحمة الله تعالى.

السنة الثامنة: الابتلاء والصبر

فإذا وقع الابتلاء بالشر على العبد، وجب عليه الصبر، وإذا أنعم الله عز وجل عليه بالنعم العديدة وجب عليه الشكر.

فإنه سبحانه وتعالى كما يبتلي الإنسان بالشر فإنه يبتليه بالخير، قال تعالى: ﴿وَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ

وَالْخَيْرِ قِتْنًا وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾⁽²⁾، وربما كان الابتلاء بالخير أشد وطأة من الابتلاء بالشر،

(1) البوطي: الإنسان وعدالة الله في الأرض، ص 29.

(2) سورة الأنبياء: 35.

فالكثيرون يصمدون للابتلاء بالشر، ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير، كثيرون الذين يصبرون على الابتلاء بالمرض، ولكن قليلون هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة، كثيرون الذين يصبرون على الضعف، ولكن قليلون هم الذين يصبرون على الابتلاء بالقوة، وهكذا⁽¹⁾.

ومدح الله تعالى الصابرين في أكثر من آية، منها قوله تعالى: ﴿وَكَبَّلُواكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ

الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا

لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾⁽²⁾، وقوله

ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر

فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً" ⁽³⁾، فالصبر من ثمرات الابتلاء الذي ينال به

الصابر الأجر العظيم من الله تعالى، والثواب الجزيل في الدنيا والآخرة على أن لا يصدر من

العبد تذمر أو شكوى لأنهما يحبطان الأجر والثواب.

السنة التاسعة: ارتباط الابتلاء بالتمكين

الابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطاً وثيقاً؛ فقد جرت سنة الله تعالى ألا يمكن لأمة إلا بعد أن

تمر بمراحل الاختبار المختلفة، وبعد أن تتصهر في بوتقة الأحداث فيميز الله الخبيث من

(1) الحمد، أحمد، حمل الدعوة الإسلامية، عمان - الأردن، دار الإسرائ، 1998م، ص 82.

(2) سورة البقرة: 155-157.

(3) سبق تخريجه ص 61

الطيب⁽¹⁾. ولذلك أجاب الإمام الشافعي - رحمه الله - حين سأله رجل: أيما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبتلى؟ فقال الإمام الشافعي: لا يمكّن حتى يبتلى. فإن الله ابتلى نوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة⁽²⁾. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ

إِمَامًا﴾⁽³⁾، فكانت الإمامة في الأرض ثمرة اجتيازه الابتلاء بصبر وثبات.

وابتلاء المؤمنين قبل التمكين أمر لابدّ منه من أجل التمحيص؛ وذلك ليقوم بنيانهم على تمكّن ورسوخ، وهذا الابتلاء للعباد ابتلاء الرحمة لا ابتلاء الغضب، وابتلاء الاختيار لا مجرد الاختبار⁽⁴⁾. فالابتلاء وسيلة من وسائل إعداد الأفراد لتحمل الأمانة وأداء التكليف الشرعية.

السنة العاشرة: الابتلاء والوسع الإنساني

فالابتلاء محدود بحدود الوسع الإنساني؛ وهي القدرات التي البشرية التي أودعها الله في الإنسان.

والقرآن يسمي هذه القدرات بأكثر من اسم: فهو يطلق كلمة "الوسع" ليعني القدرات كلها: العقلية والنفسية والجسدية والاجتماعية وغير ذلك.

(1) يوسف، محمد السيد محمد، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، القاهرة، دار السلام، ط1، 1418هـ-1997م، ص 235.

(2) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد، القاهرة، دار للريان التراث، ط1، 1407هـ-1987م، ص 203.

(3) سورة البقرة: 124.

(4) الصلابي، علي محمد، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، بيروت-لبنان، دار المعرفة، ط2، 1426هـ-2005م، ص 385.

وكلمة أخرى هي " الاستطاعة " أي ذلك الجزء من الوسع الذي يستطيع الإنسان استعماله في موقف ما.

وكلمة ثالثة هي " الجهد " أي ذلك الجزء من الوسع الذي يستعمله الإنسان فعلياً وهو يجاهد مواقف الابتلاء.

ولكن الناس كثيراً ما يستشهدون بألفاظ هذه السنة لتبرير عجزهم وكسلهم، وفقرهم ومذلتهم، فإذا ذكروا بقصورهم أجابوا: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. مع أن المعنى الحقيقي للآية هو: إن الله لم يكلف الإنسان بشيء فوق الوسع الذي أودعه فيه. لذلك حين يسأل المؤمن عن مدى استعداد له شيء ما، يجيب بقوله: إن شاء الله سأعمله. فإنه لا يقصد التملص من ذلك العمل؛ إنما معنى قوله: إنه لن يمنعني شيء من إنجازهِ إلا مشيئة الله⁽¹⁾.

السنة الحادية عشرة: أثر القيم السائدة في استثمار الوسع الإنساني

إن القيم الموجهة لاستعمالات هذا " الوسع " تؤثر في النتائج المترتبة على هذا الاستعمال. فحين توجه قيم الإيمان هذا الاستعمال فإن إنجاز المؤمن يصبح عشرة أضعاف غير المؤمن. وهذا

ما أشارت إليه الآية الكريمة الآتية، قال تعالى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِثَالَيْنِ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾⁽²⁾.

(1) الكيلاني: فلسفة التربية، ص 248.

(2) سورة الأنفال: 65.

ومعنى ذلك أن المؤمنين تزداد قوتهم نتيجة الاتصال بمصدر القوة وهو الله سبحانه وتعالى. وإذا أصاب الضعف قيم المؤمن نزلت درجة إنجازهِ إلى ضعف غير المؤمن⁽¹⁾، وهذا ما أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِثَّةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِثَّيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾⁽²⁾.

لذا فإن على المؤمن أن يبقى على صلة وقربة من الله تعالى؛ وذلك بأداء الفرائض والنوافل؛ ليتضاعف لديه هذا "الوسع"، أما إذا كان بعيداً عن الله تعالى فإن هذا "الوسع" سرعان ما يتناقص أو يتلاشى.

(1) الكيلاني: فلسفة التربية الإسلامية، ص 253.

(2) سورة الأنفال: 66.

المطلب الثاني: الحكمة من سنن الابتلاء

إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً إِلَّا وَفِيهِ حِكْمَةٌ، فإِبتلاء الله ﷻ لعباده سواء كان بالضراء أم بالسراء له حكم عديدة، والمتأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يستجلي هذه الحكم، ومنها:

أولاً: تحقيق العبودية لله رب العالمين

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ

عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾⁽¹⁾، أي أن بعض الناس يعبد الله على

شك وطرف من الدين لا في القلب، كمن يقف على حافة وادٍ، أو على طرف الجيش ليفر عند الإحساس بالهزيمة، فهو مضطرب الإيمان، غير مطمئن القلب غير واثق بهذا الدين، ولا صادق النية ولا مخلص العبادة، وهم صنف من المنافقين.

وإن أصابه خير مادي من غنيمة ومال وزيادة في الولد والنسل، رضي عن هذا الدين، واطمأن إليه.

وإن أصابه مرض أو لم تلد امرأته، ولا ماشيته، أي أحسَّ بنقص المال أو الأنفس أو هلاك أو جذب في الثمرات والغلات، ارتدَّ ورجع كافراً، وهذا هو النفاق بعينه، فيكون قد ضيع الدنيا والآخرة، لأنه كفر بالله العظيم وهو فيها في غاية الشقاء والإهانة⁽²⁾.

(1) سورة الحج: 11.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، بيروت-لبنان، دار الفكر المعاصر، ط/1، 1411هـ - 1991م، 169/17.

فالابتلاء يكشف حقيقة الإيمان من ادعائه، فالمؤمن ثابت في طاعة الله وعبوديته له في

أحواله كلها من شدة ورخاء قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾⁽¹⁾، وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾⁽²⁾، وأما المنافقون وضعاف الإيمان فهم بخلاف ذلك قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾⁽³⁾.

ثانياً: تصفية الصفوف المؤمنة

قال تعالى: ﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُسْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾⁽²⁾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾⁽⁴⁾، وقال أيضاً: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾⁽⁵⁾، يقول سيد قطب: "إنَّ الإيمان ليست كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، وجهاد يحتاج إلى صبر وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس آمنا وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها،

(1) سورة الأحزاب: 22.

(2) سورة آل عمران: 173.

(3) سورة التوبة: 58.

(4) سورة العنكبوت: 2-3.

(5) سورة آل عمران: 179.

ويخرجوا منها صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم كما تفتتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالاته وظلّه وإيحائه وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب⁽¹⁾، فالابتلاء جُعل وسيلة لتصفية قلوب الناس، لأنّ المرء غالباً لا يُكشف في الرخاء والنعيم، وإنما يُكشف في الشدة.

ثالثاً: محو الذنوب ورفع الدرجات

فالإنسان إذا ابتلاه الله ﷻ في جسده أو أهله أو ولده، أو ماله، وصبر على ذلك، فإن الله ﷻ يكفّر عنه سيئاته، ويتجاوز عن زلاته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقي الله ما عليه خطيئته"⁽²⁾. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوفي به يوم القيامة"⁽³⁾، وله الأجر العظيم من المولى ﷻ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه بها خطيئته"⁽⁴⁾، وهذه لا تكون إلا لمن صبر واحتسب ذلك عند الله ﷻ.

(1) قطب: في ظلال القرآن، 2720/5.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ما جاء في ذهاب البصر، حديث رقم (2399)، 4/ 602، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ما جاء في الصبر على البلاء، حديث رقم (2396)، 4/ 601، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك، حديث رقم (2572)، ص 657.

رابعاً: إخراج العُجب من النفوس وجعلها أقرب إلى الله

امتحن الله تعالى المؤمنين في مواطن عدة، وذلك لإخراج العُجب من نفوسهم، كما هو

الحال في غزوة حنين، إذ يقول ﷺ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ

عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾⁽¹⁾.

قال ابن القيم _رحمه الله_ في زاد المعاد: "واقتضت حكمته سبحانه أن أذاق المسلمين أولاً

مرارة الهزيمة والكسرة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليضع رؤوساً رفعت بالفتح ولم

تدخل بلده وحرمه، كما دخله رسول الله ﷺ واضعاً رأسه منحنياً على فرسه حتى أن ذقنه تكاد

تمس سرجه تواضعاً لربه، خضوعاً لعظمته واستكانة لعزته، أن أحل له حرمة وبلده، ولم يحل

لأحد قبله ولا لأحد بعده، وليبين سبحانه لمن قال: لن نغلب اليوم عن قلة، إن النصر هو من عنده

وأنه من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأنه سبحانه هو الذي تولى نصر

رسوله ودينه، لا كثرتمكم التي أعجبكم، فإنها لم تغن عنكم شيئاً، فوليتم مدبرين، فلما انكسرت

قلوبهم، أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها"⁽²⁾.

(1) سورة التوبة: 25.

(2) ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد، زاد المعاد في هدي خير العباد، القاهرة، مكتبة الصفا،

ط/1، 1423هـ - 2002م، 254/2.

خامساً: تذكير العبد بذنوبه ليتوب منها

والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾⁽¹⁾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾⁽²⁾، فمن فوائد الابتلاء _كالمرض، وفقد الولد_ تذكير العبد بالله سبحانه وتعالى بعدما كان غافلاً عنه، متمسكاً بمعاصيه، قال تعالى: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾⁽³⁾، والعذاب الأدنى هو عذاب الدنيا ومصائبها وأسقامها، فإذا استمرت الحياة هائلة فسوف يصل الإنسان إلى مرحلة الغرور والكبر، ويظن نفسه مستغنياً عن الله، فمن رحمته سبحانه أن يبتلي الإنسان حتى يعود إليه⁽⁴⁾، فتأتي مصائب الدنيا بمثابة إشارات وتنبيهات من الله تعالى للعبد إلى أنه غارق في معصيته، ويجب عليه الرجوع عنها قبل فوات الأوان⁽⁵⁾.

سادساً: إعداد العبد لتحمل الأمانة

وهذا يكون من خلال تدريبه على تحمل المشاق والمصاعب، وفي هذا المعنى يقول سيد قطب رحمه الله: "وما بالله _حاشا لله_ أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيه بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق،

(1) سورة النساء: 79.

(2) سورة الشورى: 30.

(3) سورة السجدة: 21.

(4) الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير، بيروت _لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1425هـ -

2004م، 274/3.

(5) باقر، أحمد يعقوب، عذاب الدنيا، الكويت، مكتبة الصحو الإسلامية، ص10.

وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله وثوابه، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء، والنفس تصهرها الشدائد فتتقي عنها الخبث لتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويُصلب ويُصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً، وأقواها طبيعة، وأشدّها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار⁽¹⁾.

(1) قطب: في ظلال القرآن، 2721/5.

المبحث الرابع

الدلالات التربوية المستنبطة من سنة الله في الابتلاء

المطلب الأول: الآثار المستنبطة من سنة الله في الابتلاء

لسنة الله في الابتلاء آثارٌ تعود على الأفراد والمجتمعات، أهمها:

- إصلاح المؤمنين، ففي معاناة الجهاد في سبيل الله -مثلاً- والتعرض للموت في كل جولة، تتعود النفس على الاستهانة بهذا الخطر المحتوم، الذي يكلف الناس الكثير في نفوسهم وموازنهم وقيمهم ليتقوه، وهو هينٌ عند من يعتاد على ملاقاته سواء سلم منه أو لاقاه⁽¹⁾.
- يولدُ الابتلاء جيلاً صادقاً مع ربه صادقاً مع نفسه، صادقاً مع الناس، مخلصاً مقداماً لا يتراجع، ثابتاً لا يتزعزع عن أهدافه روحانياً وثيق الصلة مع ربه وكتابه⁽²⁾.
- تعمق المحبة بين أفراد صف الجماعة المسلمة، وتقوية الصف المسلم، إذ الإبتلاء يؤلف بين قلوب المبطلين، ويزيد حبل المودة والمحبة متانة واتصالاً، لأن جو الإبتلاء يسوده التراحم والتعاطف لما يراه الأحبة من تعذيب وعنت يقع على إخوانهم وهكذا يتولد هذا الشعور عند كل مبتلى نحو إخوانه⁽³⁾.

(1) جزولي: الحياة في القرآن الكريم، 953/2.

(2) أبو فارس، محمد عبد القادر، منهج الحركة الإسلامية في التغيير، عمان-الأردن، دار الفرقان، ط1،

1411هـ - 1991م، ص67.

(3) أبو فارس: منهج الحركة الإسلامية في التغيير، ص70.

• الرضى الموجب لرضوان الله تعالى⁽¹⁾.

إن المسلم المبتلى تمتلئ نفسه رضى بقضاء الله تعالى وقدره، ويسكن هذا الرضى في نفسه فيورثه هذا رضى الله سبحانه وتعالى، ولا خيار للمؤمن في عدم الرضا؛ بل لا بدّ له من الرضا بقضاء الله بقلبه ولسانه وجميع جوارحه، ليكون له من الله تعالى الرضى، وإذا كانت منه الأخرى كان له السخط من الله تعالى، وفي هذا يقول النبي ﷺ: "إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط"⁽²⁾.

• يعمل على تربية الجماعة المسلمة، من خلال صقل نفوسها، وتنقيتها من الخبث وتقريبها من مولاها سبحانه، حيث تطلب منه الثبات على الأمر، وترجو منه الأجر على الصبر⁽³⁾، وفي ذلك يقول سيد قطب: "ثم إنه الطريق الذي لا طريق غيره لإنشاء الجماعة التي تحمل هذه الدعوة وتنهض بتكاليفها، طريق التربية لهذه الجماعة، وإخراج مكنوناتها من الخير والقوة والاحتمال، وهو طريق المزاولة العملية للتكاليف، والمعرفة الواقعية لحقيقة الناس وحقيقة الحياة، ذلك ليثبت على هذه الدعوة أصلب أصحابها عوداً، فهؤلاء هم الذين يصلحون لحملها، إذ بالصبر عليها، ثبت أنهم عليها مؤتمنون"⁽⁴⁾.

(1) أبو صعليك، محمد، فقه الإيتلاء، الأردن، دار البيارق، 1420هـ — 1999م، ص27. نقلاً عن كتاب

المصائب والبلايا والمحن للعر بن عبد السلام من مخطوطة منسوخة من مكتبة الجامعة الأردنية.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ما جاء في الصبر على الباء، حديث رقم (2396)، 601/4، وقال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(3) أبو صعليك: فقه الإيتلاء، ص10.

(4) قطب: في ظلال القرآن، 539/1.

- الإنسان المبتلى بفقدان إحدى النعم يصبح بعد المعاناة أكثر شكراً وحمداً لله ﷻ، فينال بذلك الأجر العظيم، قال ﷺ: "الصبر نصف الإيمان"⁽¹⁾.

• إنَّ المبتلى تصبح لديه الخبرة الكافية في التعامل مع أفراد مجتمعه، وكل ما يحيط به، وأفراد مجتمعه يأخذون العبرة مما حلَّ به من مصائب، فإن كان بسبب ذنب اقترفه ابتعدوا عن المعاصي والذنوب، وإن كان لقوة إيمانه بالله تعالى، اجتهدوا للحصول على الدرجات العالية كالتي حصل عليها من المولى ﷻ ليصيروا إلى ما صار إليه.

المطلب الثاني: دور المؤسسات التربوية في التعامل مع سنة الله في الابتلاء

إن تحقيق أي هدف من أهداف التربية الإسلامية يكون عن طريق المؤسسات التربوية المختلفة ، التي تعمل على جعل تربية الإنسان مستمرة من المهد إلى اللحد .
وهذه المؤسسات كثيرة ومتعددة ، ويتم عن طريقها تنظيم حياة الفرد ، وتنشئته تنشئة إسلامية ، كما وتعمل على بناء شخصيته وتنمية كيانه الاجتماعي .
لذلك كان من الواجب على هذه المؤسسات أن توظف سنة الابتلاء في كافة مجالاتها ، ومن المؤسسات التي تستطيع أن تتعامل مع سنة الابتلاء؛ الأسرة ، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام.

(1) أورده الحاكم في مستدركه، حديث رقم (3666)، 2/ 484، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أولاً: دور الأسرة في التعامل مع سنة الله في الابتلاء

إن للأسرة المسلمة الدور الكبير في التعامل مع سنة الابتلاء، ويتضح ذلك من خلال؛ تربية أبنائها على اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى عند وقوع المصائب، وطلب العون، واستمداد القوة منه عز وجل، والبعد عن التذمر و الشكوى لغير الله تعالى، إذ إنها تحبط الأجر، وفيها اعتراض على قضاء الله تعالى وقدره؛ إذ بعد كل محنة منحة من الله تعالى.

كما أنها تربي أبنائها على الثبات في المحن عند وقوع البلاء والمصائب، لينالوا بذلك الأجر الذي أعدّه الله تعالى للمبتلى في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَكَلْبَلُواكُم مِّنَ الْخَوْفِ

وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿155﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ

وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ﴿156﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿1﴾، وقال

رسول الله ﷺ: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها" (2).

وتبين الأسرة لأفرادها أن الحياة بخلوها ومرها هي ميدان للابتلاء مما يستوجب دوام المراقبة للنفس كي لا تبتر عند النعمة، أو تكفر عند الشدة قال ﷺ: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره

(1) سورة البقرة: 155 - 157.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرضى، حديث رقم (5641)، ص1227.

كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له⁽¹⁾.

وتحثهم على الاقتداء بالرسول ﷺ والأنبياء عليهم السلام، إذ واجهوا الأصناف العديدة من العذاب بالصبر والقبول والرضا.

ثانياً: دور المدرسة في التعامل مع سنة الله في الابتلاء

المدرسة هي: " المؤسسة التربوية المباشرة التي أقامها المجتمع لتعمل على خدمة أهم هدف من أهدافه، ألا وهو تنشئة الجيل الصاعد تنشئة قائمة على المبادئ والقيم والتقاليد"⁽²⁾. والمدرسة مؤسسة تربوية منظمة لها عدة وظائف هامة في تشكيل الفرد المسلم تشكيلاً متكاملاً، وإن كانت الوظيفة الأساسية لها في نظر الإسلام تحقيق التربية الإسلامية بأسسها الفكرية والعقدية والتشريعية وبأهدافها، ومنها عبادة الله وتوحيده، وتنمية مواهب الفرد على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها وصونها من الزلل والانحراف، فالوظيفة الأساسية هي بناء الإنسان المسلم فكرياً وروحياً وجسماً لتحقيق التوازن البشري فيه، ولتمكينه من أداء رسالته السماوية في خلافة الأرض وعمارتها، وذلك وفق المنهج الرباني الفريد⁽³⁾.

وتعد المدرسة امتداداً للأسرة، فهي بمثابة المؤسسة الأولى التي أنشئت لتوجيه نمو الطفل، ونمو مهارته المعرفية، وقدرته على القراءة والكتابة، كما أنها تؤثر في نمو الطفل، وذلك عن

(1) أخرجه مسلم في صحيحة، كتاب الزهد والرفائق، باب المؤمن أمره كله خير، حديث رقم (2999)، ص 756.

(2) درويش وآخرون: كمال، اتجاهات حديثة في الترويح وأوقات الفراغ، دار الفكر، القاهرة، 1204هـ، 1982م، ص 54.

(3) عطار، ليلى عبد الرشيد، الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية، ط/1983، ص 73-74.

طريق نمو الدوافع، والميول، والاتجاهات، والقيم، والمهارات الاجتماعية، بالإضافة إلى تقدير الطفل لذاته⁽¹⁾.

فوظيفة المدرسة لا تقتصر على إعطاء المعلومات وإلقاء الدروس فقط ؛ وإنما لها دور واضح في العملية التربوية ، حيث إنها تؤثر في سلوك التلاميذ ، وتغرس في نفوسهم القيم والمبادئ الإسلامية ، وهي بذلك تُعتبر مكمله لدور الأسرة والمسجد .

كما أنها تعمل على تربية الأفراد على تحمل المسؤولية ، ومن خلال تحملهم للمسؤولية يستطيعون أن يقوموا بأي عمل على أكمل وجه .

وتُعدّ المدرسة المكان المناسب لتنوع الخبرات والنشاطات التي تظهر فيها السنن الاجتماعية.

وعليه ، فإن من أهم أهداف المدرسة أن تُعنى بسنة الابتلاء لدى التلاميذ، وذلك من خلال ما يلي :

أولاً: المعلم

" وهو المركز الإيجابي الفعال التي تلتقي عنده بالتلميذ كل النظم الموضوعية في المدرسة، وكل الأساليب والإمكانيات المستعملة في التطبيع الاجتماعي"⁽²⁾ .

ويُعدّ المعلم حجر الزاوية في العملية التعليمية ؛ حيث إن نجاح العملية التعليمية يكون سببه المعلم ، وفشلها يكون من فشل المعلم .

(1) الأشول، عادل عز الدين، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م، ص 333.

(2) عثمان ، سيد أحمد، علم النفس الاجتماعي التربوي ، مكتبة الانجلو المصرية ، 92/1 .

إن دور المعلم في إعداد التلاميذ للتعامل مع سنة الابتلاء يتجلى بأساليب شتى وفي مواقف مختلفة، فهي تظهر بارزة فيما يلي :

تربية المتعلم على اللجوء إلى المولى عز وجل عند وقوع المصائب كالفشل في إحدى المقررات الدراسية، وطلب العون من الله، واستمداد القوة والصبر منه سبحانه وتعالى. وأن ينقد ذاته أو يراجعها حال إصابتها بمصيبة، والإيمان بأن هذه المصيبة ابتلاء من الله تواجهه بالصبر والرضا بقدر الله وعدم السخط والتذمر.

ثانياً: المتعلم

أما المتعلم فإنه حينما يبتليه الله تعالى بالتفوق؛ فإنه يمتنع عن الصفات غير المرغوبة، كالتكبر والخيلاء والتجبر والبطر، وأما التلميذ الذي يبتلى بالفشل؛ فإنه يبتعد عن اليأس والإحباط والهزيمة النفسية.

ثالثاً: المنهاج

أن يهدف المنهاج التربوي إلى إخراج المتعلم الصابر المثابر المدرك لسنة الابتلاء، كي يقوم بأداء دوره في مجتمعه رغم العوائق المختلفة التي تواجهه⁽¹⁾.

ثالثاً: دور المسجد في التعامل مع سنة الله في الابتلاء

إن للمسجد مكانة كبيرة في المجتمع الإسلامي ، ومكانته هذه تأتي من اهتمام النبي ﷺ ، وأصحابه رضوان الله عليهم ، حيث إنه ﷺ اتخذ مكاناً لتعليم أصحابه ، ولنشر الدعوة الإسلامية

(1) الدغشي، أحمد محمد حسين، نظرية المعرفة في القرآن وتضمناتها التربوية، دمشق، دار الفكر، ط/1،

كما أن أهميته تظهر لنا جلية من خلال ما قام به عليه الصلاة والسلام من بناء للمسجد بعد وصوله إلى المدينة المنورة ، وذلك لأنه يضم المسلمين ، يجمعون فيه أمرهم ، ويتشاورون لتحقيق أهدافهم والتعاون لحل المشكلات ، وصد العدوان عن عقيدتهم⁽¹⁾.

إن وظيفة المسجد لا تقتصر على العبادة ، وأداء الصلوات فقط ؛ بل له الوظائف العديدة كالتعليم - كما أسلفنا - والتربية ، وتهذيب السلوك ، وتوجيه المسلمين نحو الخير ، والعمل على تربية الفرد تربية اجتماعية بعيدة عن حب الأثرة ، والأنانية ، فيجعله متفاعلاً متعاوناً مع مجتمعه مقدماً المساعدة للآخرين .

فالوعاظ وأئمة المساجد يقع على عاتقهم مهمة الإرشاد والتوجيه للتعامل مع السنن الاجتماعية ، وذلك من خلال الدروس الدينية التي تلقى قبل إقامة الصلاة وبعدها ، وكذلك عن طريق خطبة الجمعة التي يجتمع فيها أكبر عدد من المسلمين مما يكون لها النفع العظيم؛ وذلك يكون من خلال:

حث الدعاة المسلمين على الرضا بقضاء الله عند نزول المصائب والصبر عليها، مستشهدين لهم بمواقف من حياة الرسول ﷺ وصحبه الكرام.

ومن خلال ربط الخطب ببعض حوادث الابتلاء التي تحصل في المحيط الاجتماعي للمسجد، أو الابتلاءات التي تصيب المجتمع ككل؛ كارتفاع الأسعار، والجفاف... أو التي صيب الأمة كالحروب والاحتلال العسكري.

(1) النحلوي ، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار

إضافة إلى تضمين خطبة الجمعة، والدروس الدينية أهمية الصبر على الابتلاء، وثماره في الدنيا والآخرة، والتحذير من التذمر والشكوى.

كما أن على الدعاة أن يوطنوا أنفسهم على الصبر على ما يلقيه من أعداء دعوتهم، متأسين في ذلك بالأنبياء والصالحين من قبلهم؛ إذ أنهم سيواجهون أصنافاً عديدة من الأذى، لأنهم يعملون على تحويل عقائدهم الفاسدة إلى عقيدة التوحيد.

رابعاً: دور وسائل الإعلام في التعامل مع سنة الله في الابتلاء

تعد وسائل الإعلام اليوم من المؤسسات التربوية المؤثرة في كافة أفراد المجتمع، وخصوصاً بعد التقدم الصناعي لوسائل الإعلام، التي دخلت كل منزل، وعاشت مع كل أسرة، فقد انتهى عهد المدن المسورة، وازداد تأثير الكلمة المطبوعة قراءة وسماعاً، وتأثير الصورة الملونة⁽¹⁾.

فتقوم وسائل الإعلام بدور بالغ الأهمية والخطورة في حياة الناس بعمامة، وفي حياة الناشئ بصفة خاصة، حتى أنها أصبحت - في كثير من الأحيان - بديلاً عن الكتاب وكثير من مؤسسات التعليم والتنقيف⁽²⁾، وتقوم وسائل الإعلام بتأثير حيوي هام على الأفراد وتوعيتهم، وتوجيههم وربطهم بمجتمعهم، وتشكيل الرأي العام وتوجيهه، من هنا يكون لوسائل الإعلام أثر كبير في استقرار المجتمع وتطوره، وتقدمه⁽³⁾.

(1) الهاشمي: الرسول العربي المربي، ص 18.

(2) أبو العنين: القيم الإسلامية والتربية، ص 177.

(3) السيد، سميرة أحمد، علم اجتماع التربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993م، ص 99.

وعليه ، فإن على وسائل الإعلام مهمة عظيمة في نشر الوعي بين الأفراد ، وغرس القيم

الأخلاقية والدينية في نفوسهم ، وتتضح هذه الأهمية من خلال:

إعداد البرامج التي تبين لنا أحداث السيرة النبوية، والصعوبات التي واجهها الرسول ﷺ وصحابته الكرام- رضي الله عنهم - أثناء دعوتهم للدين الإسلامي، وكيفية صبرهم على ذلك. وعرض تجارب لأفراد واجهوا محن ومصائب عديدة في حياتهم، وكيف أنهم صبروا على ذلك؛ لينالوا الفوز في الدارين.

إضافة إلى استضافة المختصين من علماء الشريعة، وعلماء النفس؛ لتوجيه النصح الإرشاد على الصبر على الابتلاء بالخير والشر على حد سواء.

وخلاصة القول: إن سنة الابتلاء ماضية في اختبار الله تعالى وامتحانه لعباده؛ بتكاليفه الشرعية، وبالسراء والضراء.

وورد في القرآن الكريم ألفاظ عديدة تشير إلى معنى الابتلاء؛ كالفتنة، والتمحيص، والمحنة.

وإن من انواع الابتلاءات التي يبتلي الله بها عباده؛ هي الابتلاء بالتكاليف الشرعية، والابتلاء بالسراء والضراء. كم أن هنالك السنن العديدة للابتلاء ولها الحكم الكثيرة، منها؛ تحقيق العبودية لله تعالى، ومحو الذنوب ورفع الدرجات، وتذكير العبد بذنوبه ليتوب منها، وإعداد العبد لتحمل الأمانة.

وإن لمؤسسات التربية الدور الفعّال في التعامل مع سنن الله في الابتلاء؛ كالأُسرة، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام.

الفصل الثاني

سنة الله في التغيير ودلالاتها التربوية، وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم التغيير في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الثاني: أنواع التغيير، وقواعده، ومراتبه

المبحث الثالث: خصائص التغيير، وأهدافه، ووسائله، ومعوقاته

المبحث الرابع: الدلالات التربوية المستنبطة من سنة الله في التغيير

تمهيد

إن الناظر في أحوال المجتمعات يجد أنها لا تثبت على وضع دائم؛ بل تتبدل وتتحوّل بين الحين والآخر، فيكتنفها التقدم حيناً، والتأخر حيناً آخر، وتكون قوية فترة من الزمن وتضعف أو يعتريها الضعف فترة أخرى، تنعم بالرخاء والأمن، وفجأة يداهمها الاضطراب والبؤس والشقاء... وهكذا، إلى آخر ما يقع عليها من تغييرات.

ويعدّ التغيير بمثابة صفة أصيلة ملازمة لحياة كل كائن، وهي صفة كامنة تتصل بطبيعة الأشياء، ويقول الفيلسوف الفريد هوبز: "إنّ كل الظواهر التي تحيط بنا من مجرة الكائن إلى الإلكترون، من الإنسان وحتى الأميبا، من المجتمع وحتى الأسرة، إنّ كل شيء هنا يخضع للتحوّل، إنّ أجسامنا البشرية تتغير من يوم لآخر، وتبدو على مظاهرها الخارجية سمات التحوّل، فبعض الأشياء تتغير في ثوانٍ وبعضها الآخر يحتاج لمرون ملايين السنين حتى يحدث التغيير ويدركه البشر"⁽¹⁾.

"والهدف من التغيير إعداد الإنسان ليكون صاحب موقف ومروءة بعد أن جرده التخلّف من مقومات الموقف وأجهضت قيم التخلّف ومروءته"⁽²⁾.

فهذا التغيير الذي يحدث للمجتمع بشكل عام ولل فرد بشكل خاص، لا يكون إلّا وفق نظام الله تعالى، ووفق سنته التي لا تتبدل ولا تتخلف.

⁽¹⁾ خليفة، محروس محمود، ممارسة الخدمة الاجتماعية دراسات في التغيير المخطط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992م، ص 61.

⁽²⁾ الحديثي، نزار عبد اللطيف، الأمة والدولة في سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والراشدين، بغداد - العراق، دار الحرية للطباعة، ط/1، 1987م، ص 60.

المبحث الأول

مفهوم التغيير في القرآن الكريم والسنة النبوية

المطلب الأول: مفهوم التغيير لغةً واصطلاحاً:

أولاً: مفهوم التغيير لغةً

كلمة التغيير مأخوذة من الفعل (غَيَّرَ)، وتغيّر الشيء من حاله: تحوّل وغيّره: حوله وبذّله، كأنه جعله غير ما كان، وغيّر عليه الأمر: حوّله⁽¹⁾.

ثانياً: مفهوم التغيير اصطلاحاً:

يُعرّف التغيير بأنه: "انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى"⁽²⁾.

كما يُعرف بأنه: " الانتقال من حالة إلى حالة والتحول من وضع إلى وضع، أو من صفة إلى صفة سواء كانت هذه الأحوال إيجابية أم سلبية"⁽³⁾.

كما عُرِفَ بأنه: "تحول من وضع معين عما كان عليه من قبل، وقد يكون هذا التحول في الشكل أو النوعية أو الحالة"⁽⁴⁾.

(1) ابن منظور: لسان العرب، 40/5.

(2) الجرجاني: التعريفات، ص 40.

(3) أبو فارس، محمد عبد القادر، منهج الحركة الإسلامية في التغيير، عمان_الأردن، دار الفرقان، ط/1، 1411هـ - 1991م، ص 20.

(4) السلمي، علي، الإدارة المعاصرة، القاهرة، دار غريب للطباعة، ص 225.

إذن، فالتغيير هو: الانتقال والتحول لشيء ما من حالة إلى حالة غير الأولى، وقد يكون إيجابياً وقد يكون سلبياً، وقد يكون إلى الخير، وقد يكون إلى الشر..

ثالثاً: الفرق بين التغيير والتغير

وهناك فرق بين التغيير والتغير؛ فالتغير يكون في أجسامنا لا إرادياً؛ فهي تغيرات قهرية لا يد للناس فيها، ولا يستطيعون تغير سننها، لذا فهم ليسوا مسؤولين عنها. أما التغيير فهو عمل قصدي بشري يقوم به الناس بغية الوصول إلى أهدافهم⁽¹⁾، وهذا لا يتم إلا بناءً على إرادة وتخطيط.

المطلب الثاني: سنة التغيير في القرآن الكريم والسنة النبوية

أولاً: سنة التغيير في القرآن الكريم

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن ذكر التغيير لم يرد إلا في سورتين على النحو الآتي:

1. قوله تعالى: ﴿كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ

اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿52﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَ عَلَيْهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ

اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿53﴾ (2).

قال صاحب المحرر الوجيز في تفسير هذه الآية: "ومعنى هذه الآية: الإخبار بأن الله ﷻ إذا

أنعم على قوم فإنه بلطفه ورحمته لا يبدأ بتغييرها وتكديرها حتى يجيء ذلك منهم ، بأن يغيروا حالهم التي تراد وتحسن منهم، فإن فعلوا ذلك وتلبسوا بالتكسب للمعاصي أو الكفر الذي يوجب

(1) بكار، عبد الكريم، تجديد الوعي، دمشق، دار القلم، ط/1، 1427هـ - 2000م، ص180.

(2) سورة الأنفال: 52 - 53.

عقابهم، غير الله نعمته عليهم بنقمة منهم، ومثال هذا نعمة الله على قريش بمحمد ﷺ، فكفروا وغيروا ما كان يجب أن يكونوا عليه، فغير الله تلك النعمة بأن نقلها إلى غيرهم من الأنصار، وأحل بهم عقوبته⁽¹⁾. ذلك أنهم غيروا ما بأنفسهم إلى الشر والفساد في الأرض. فتدل هذه الآية على أن الله لا يغير النعم بإنزال العذاب إلا أن يكون التغيير من القوم أنفسهم، بعد ذلك يحل بهم عذاب الله تعالى.

2. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽²⁾.

أي أن الله عز وجل لا يغير نعمة أو بؤساً، ولا يغير عزاً أو ذلة، ولا يغير مكانة أو مهانة.. إلا أن يغير الناس من مشاعرهم وأعمالهم وواقع حياتهم فيغير الله ما بهم وفق ما صارت إليه نفوسهم وأعمالهم، وإن كان الله يعلم ما سيكون منهم قبل أن يكون، ولكن ما يقع عليهم يترتب على ما يكون منهم، ويجيء لاحقاً له في الزمان بالقياس إليهم⁽³⁾. فهذه الآية يجب أن تصبح شعار كل من ينخرط في سلك الإصلاح، وأن تكون أساساً لكل تفكير؛ لتظهر آثارها في كل خطوة، وفي كل مقال، حينئذ يُشرب الشعب نزعة التغيير، فتصبح أحاديثه شرعة ومنهاجاً؛ فهذا يقول لا بدّ من تبليغ الإسلام إلى المسلمين، وذاك يعظ: فلنترك البدع

(1) ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، ط/1، 1404هـ - 1984م، 6/344.

(2) سورة الرعد: 11.

(3) قطب: في ظلال القرآن، 4/2049.

الشيعة البالية، ولنترك الأوثان، وذلك يلح يجب ان نعلم، يجب أن نتعلم، يجب أن نجدد صلتنا بالسلف الصالح، ونحيي شعائر المجتمع الإسلامي الأول⁽¹⁾.

فهذه السنة عامة بالبشرية كافة المسلمين والكافرين، وليست خاصة بقوم دون قوم أو مجتمع دون مجتمع آخر أو أمة دون أمة.

نلاحظ من خلال الآيتين السابقتين أن هذه السنة "هي سنة اجتماعية لا فردية، بمعنى أن كلمة "قوم" تعني الجمع أو الجماعة التي يطلق عليها أمة أو مجتمع".

كما لا يفهم من الآيتين "قصد فرد معين، بدليل أن الله لم يقل: إن الله لا يغير ما بإنسان حتى يغير ما بنفسه، ولا يدل على شخص فرد، سواء كان رجلاً أم امرأة، مؤمناً كان أم كافراً، وإنما الحديث عن قوم، عن مجتمع، له خصائصه بما يشمل الرجال والنساء والصغار والكبار، بكل محتويات القوم أو المجتمع المعين أو الأمة⁽²⁾".

فالتغيير لا يأتي من فرد واحد؛ وإنما من مجموعة من الأفراد الذين يشكلون المجتمع، فإذا حدث التغيير من فرد واحد في المجتمع؛ فإنه حين ذاك لا يعتبر تغييراً.

ونلاحظ - أيضاً - أن في النص ترتيب حدوث التغييرين؛ فالتغيير الأول هو تغيير القوم ما بأنفسهم، والتغيير الثاني هو تغيير الله عز وجل ما بهم، ولا يحدث التغيير الثاني حتى يحدث التغيير الأول⁽³⁾. هذا يعني أن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يُحدث القوم التغيير في أنفسهم، حين ذاك يحدث التغيير من النعمة إلى النعمة، أو من النعمة إلى النعمة، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا

(1) بن نبي، مالك، شروط النهضة، دمشق - سورية، دار الفكر، ط/6، 1427هـ - 2006، ص 27، بتصرف.

(2) جودت: حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص 59.

(3) أنظر، جودت: حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص 93.

قَرَبَةً كَانَتْ أَمَّةٌ مُطَسَّنَةٌ بِأَتِيهَا مَرِزُفُهَا مَرِغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ

وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْعُونَ⁽¹⁾.

ثانياً: سنة التغيير في السنة النبوية

وردت أحاديث نبوية عدة تتحدث عن سنة التغيير، منها:

1. ما رواه الإمام مسلم في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: "من رأى منكم منكراً فليغيره

بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"⁽²⁾.

فهذا الحديث النبوي يبين لنا أن التغيير لا سميّا من الفساد إلى الصلاح، أمر مطلوب من الأمة

بمجموعها، ومن كل فرد كما يبين مراتب التغيير التي سبببتها فيما بعد _ إن شاء الله _.

2. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "ما من نبي بعثه الله في

أمة قبلي، إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم أنها تخلف

من بعدهم خُلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن،

ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان

حَبَّةُ خَرْدَلٍ"⁽³⁾.

(1) سورة النحل: 112.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (49)، ص25.

(3) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (50)، ص26.

فالحديث يبين أن كل مخاطب مكلف في تبليغ الدعوة ومجاهدة الفاسدين ليغير من أحوالهم ويصلح من شؤونهم بالكف عن الفساد.

3. وقوله ﷺ: "ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدر أن يغيروا عليه؛ فلا يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يموتوا"⁽¹⁾.

4. وقال ﷺ: "إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرين على أن ينكروه، فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة"⁽²⁾.

فهذه الأحاديث الشريفة تدلُّ على أن تغيير المنكر وإقامة الطاعات هو أمرٌ الهيّ مخاطب به كل مسلم ومسلمة، بالقدر الذي يستطيعه وبالعلم الذي يحمله، ذلك أن من يرى المنكر وهو يقدر على تغييره يرتكب الإثم العظيم، قال تعالى في ذم بني إسرائيل: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرَمِ اللَّهِ فَعَلُوا لِبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽³⁾.

(1) أورده أبو داود في السنن، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم (4339)، 122/4، سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، دار الفكر. وقال الألباني حديث حسن، الألباني: محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، 3/ 819.

(2) أورده الإمام أحمد في مسنده، 192/4، ابن حنبل: أحمد أبو عبد الله، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر. إسناده ضعيف، جماز، علي محمد، مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد بن حنبل، حديث رقم (900)، 2/ 765، مطابع الدولة الحديثة، قطر، ط/1، 1403هـ - 1982م.

(3) سورة المائدة: 79.

المبحث الثاني

أنواع التغيير وقواعده ومراتبه

المطلب الأول: أنواع التغيير

التغيير نوعان إيجابي وسلبي، على النحو الآتي:

أولاً: التغيير الإيجابي

وهو التغيير المطلوب في التربية الإسلامية، وهو الإصلاح، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ مَرْحَمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽¹⁾، وصلاح الأرض

يكون بطاعة الله تعالى وإتباع دينه، وفسادها يكون بالإعراض عن شريعته، وجاء على لسان

شُعَيْب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾⁽²⁾.

وهذا النوع من التغيير يكون في حياة الأفراد والمجتمعات، في حياة الأفراد بالاستقامة والصلاح

والثبات على الهدى والإيمان، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾⁽³⁾.

وفي حياة المجتمعات باستقامة المجتمع وتلاحمه؛ وذلك كما كانت الحال في المجتمع

(1) سورة الحشر: 8.

(2) سورة هود: 88.

(3) سورة هود: 112.

الأول⁽¹⁾، " فتغيروا تغيّراً جذرياً من الإعراض عن الإسلام إلى الإقبال عليه، ومن الجهل بأحكامه، إلى الحرص على التفقه فيه، ومن التسبب والشroud عن تعاليمه إلى الالتزام بها، ومن انشغال الفرد بخاصة نفسه، وعدم الاهتمام بأمر أمته إلى حمل هموم الأمة، والمشاركة في قضاياها بإخلاص وإيجابية... ومن البعد عن المساجد إلى عمارتها بالصلوات والدروس"⁽²⁾، والذي قال الله ﷻ فيهم: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّامِرَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾⁽³⁾.

ثانياً: التغيير السلبي

وهو الخروج عن الفطرة، والإفساد في الأرض، ويكون هذا بالانحراف في حياة الأفراد والمجتمعات⁽⁴⁾، ففي بيان الانحراف الفردي يقول الله ﷻ: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ بُرْآنَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْ مِنْهَا فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾⁽⁵⁾.

(1) جزولي، احزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ط/1، 1418هـ - 1997م، 43/1، بتصرف.

(2) القرضاوي، يوسف، المبشرات بانتصار الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط/2، 1420هـ - 1999م، ص 88.

(3) سورة الحشر: 8-9.

(4) جزولي، الحياة في القرآن الكريم، 46/1.

(5) سورة الأعراف: 175.

وفي بيان انحراف المجتمعات، ذكر الله ﷻ في كتابه العزيز قصص أقوام كذبوا رسلهم،

وأعرضوا عن منهج الله، فكانت عاقبتهم الهلاك والدمار، ومن ذلك قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

لَمْ يَكُ مَغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (53) ﴿كَدَّابِ آلِ

فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَاوُنَا

ظَالِمِينَ﴾⁽¹⁾. " وهذا التغيير يستهدف إلغاء وجود الإسلام وقيمه وأخلاقياته، واستبداله بجاهلية

قديمة أو حديثة، غربية أو شرقية، فهو تغيير نحو الأدنى⁽²⁾.

وذكر الله ﷻ أقواماً بدلوا نعمة الله كفراً فكان جزاؤهم زوال هذه النعم واستبدالها بالنقم،

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ

بِنِعْمِ اللَّهِ فَادَّا فُتًى اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾⁽³⁾.

المطلب الثاني: قواعد التغيير

يرتكز التغيير إلى أسس وقواعد منها:

القاعدة الأولى: إنَّ التغيير قانونٌ عام في كل الأجناس والألوان، والناس جميعاً مؤمنهم

وكافرهم، ويدل على هذا كلمة "قوم" الواردة في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مَغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا

(1) سورة الأنفال: 53 - 54.

(2) العمري، أكرم ضياء، الإسلام والوعي الحضاري، جدة- السعودية، دار المنارة، ط/1، 1407هـ - 1987م،

ص 6.

(3) سورة النحل: 112.

عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ⁽¹⁾. فكلمة قوم نكرة، وهي من الألفاظ المطلقة،

وتبقى على إطلاقها، إذا لم يقيدھا الشارع الحكيم بوصف من الأوصاف كالإيمان وغيره. فيبقى مدلولها شاملاً لأي جماعة أو تنظيم أو مجتمع أو دولة دون النظر إلى دينها، كما يشمل الأزمنة والأمكنة، وهذا يعني أن اللفظ يشمل كل مجتمع من المجتمعات في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، كما يشمل كل بلد من بلاد الدنيا⁽²⁾.

القاعدة الثانية : إن التغيير المؤثر المطلوب في الإسلام هو التغيير الجماعي، الذي يشمل أغلبية المجتمع، أما التغيير الفردي الذي يغير فرد من الأفراد من خلاله ما في نفسه، فيصلح من شأن علاقته بالله سبحانه وتعالى، وعلاقته بغيره من الناس، لكن هذا التغيير لا يترتب عليه تغيير عام فلا قيمة له⁽³⁾.

القاعدة الثالثة: إنَّ التغيير ينطلق من الذات، ومن قنوات الفرد والمجتمع كي يكون تغييراً مثمراً مؤثراً، أما التغيير المفروض من جهة أخرى بالقوة والإكراه، فهو ضعيف الأثر، وسرعان ما يزول بزوال القوة المؤثرة.

القاعدة الرابعة: إن التغيير سنة دنيوية لا سنة أخروية؛ فالتغيير المراد في الآيتين الكريمتين هو الذي يحدث في الدنيا، وعلى هذا فقد كانت المحاسبة في الدنيا جماعية أما محاسبة الآخرة فردية، ولهذا فإن المسؤولية الاجتماعية تتعلق بمؤاخذة المجتمع كله إذا لم يتبع سنن التغيير⁽⁴⁾.

(1) سورة الأنفال: 53.

(2) أبو فارس: منهج الحركة الإسلامية في التغيير، ص18.

(3) أبو فارس: منهج الحركة الإسلامية في التغيير، ص19.

(4) مطر، سيف الإسلام علي، التغيير الاجتماعي، المنصورة، دار الوفاء، ط/1، 1406هـ - 1986م، ص26.

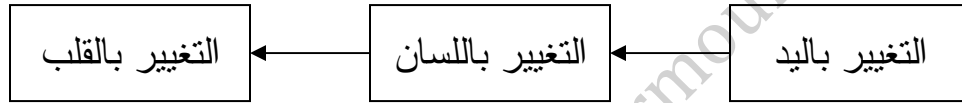
المطلب الثالث: مراتب التغيير

التغيير المطلوب هو التغيير الإيجابي، وهذا له مراتب من حيث الوسائل المتبعة في إحداثه

تتضح لنا من خلال الحديث النبوي الشريف التالي:

عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده،

فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"⁽¹⁾.



فأول هذه المراتب: التغيير باليد

وهو أعلى مراتب التغيير كإرغام العاصي على ترك معصيته بالدفع أو الإخراج أو نحو

ذلك، " ولو باستعمال القوة والسلاح، والاستعانة بالغير في دفع المنكر، ويدخل في نطاق التغيير

باليد سجنه ودفعه لمنعه عن مباشرة المنكر"⁽²⁾.

ثانياً: مرتبة التغيير باللسان

واللسان وسيلة التعريف، والتعليم، والمناصحة، والدعوة وبيان الأحكام، وطرق الوقاية من

المنكرات، وعلاج ما وقع منها. كما أنه وسيلة التخويف من سوء العقبي في الدارين لمن ارتكبها،

أو أعان عليها، أو علمها ورضي بها"⁽³⁾.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم (49)،

ص 25.

(2) السامرائي، فاروق عبد المجيد، مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جدة- المملكة العربية

السعودية، مكتب دار الوفاء، 1407هـ، ص 66.

(3) السايح، أحمد عبد الرحيم، منهج الإسلام في تغيير المنكر، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، ص 52.

والتغيير باللسان يكون ببذل النصيحة الواجبة، فقد يكون المتلبس بهذه المنكرات جاهلاً بحكم ما وقع فيه لاسيماً مع غلبة الجهل وقلة العلم، وهذا يختلف من بلد إلى آخر، كما يختلف من شخص إلى آخر.

فيجب أن يبدأ بالموعظة وتذكيره بالله عز وجل، على أن يتم ذلك بشفقة ولطف دونما غضب أو عنف، بل ينظر إليه نظرة الرحمة والحرص، ويرى إقدامه على المعصية مصيبة على نفسه، إذ المسلمون كنفس واحدة⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽²⁾.

ثالثاً: مرتبة التغيير بالقلب

وهذه المرتبة تكون في حالة العجز عن المرتبتين السابقتين، وإذا خاف الضرر أو عرف عدم القبول أو زيادة المنكر، بالرد الشنيع والسخرية بالأمر والناهي اقتصر على الإنكار بالقلب⁽³⁾، وتعني هذه المرتبة اعتزال الباطل الذي عجزت عن تغييره، وعدم مشايعة أصحابه بقول أو عمل⁽⁴⁾، وهذا يكون بمقاطعة أهل المنكر واجتناب مجالسهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية _ رحمه الله _ : "وأصل هذا أن يكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا وكرهه لهذا، موافقته لحب الله وبغضه وإرادته وكرهه الشرعيين،

(1) الصاوي، صلاح، منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص 42، بتصرف.

(2) سورة النحل: 125.

(3) الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن، حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار الوطن، ط/1، 1419هـ - 1998م، ص 77.

(4) الصاوي: منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق، ص 45.

وأن يكون فعله للوجوب وفعله للمكروه بحسب قوته، فإن الله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وقد قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾⁽¹⁾، فأما حبُّ القلب وبغضه وإرادته وكرهته فينبغي أن تكون كاملة جازمة، لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان، وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته، ومتى كانت إرادة القلب وكرهته كاملة تامة وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطي ثواب الفاعل الكامل⁽²⁾.

إن، الإنكار القلبي ليس حالة سلبية، وإنما هو إعلان المنكر بقلبه عن موقف المقاطع والمفارق لحالة مرتكب المنكر، وهذا يعني أن يصبح المنكر وفاعله معزولاً من جماعة المسلمين، فيصبح وكأنه طريد قومه وجماعته، ويحرك الإحساس بذلك في نفسه مشاعر الندم، فينفتح أمامه طريق "التوبة" الذي هو نفسه طريق العودة إلى حوزة الجماعة والأمة إلى طريقها المستقيم⁽³⁾. نلاحظ مما سبق أن الإنكار باليد يكون من صلاحيات ولي الأمر، والإنكار باللسان من صلاحيات العلماء، أما الإنكار بالقلب يشترك فيه ولي الأمر والعلماء وعامة الناس.

(1) سورة التغابن: 16.

(2) ابن تيمية، أحمد، مجموع فتاوى ابن تيمية، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1412هـ - 1991م، 131/28.

(3) مرزوق، عبد الصبور، منهجية التغيير الاجتماعي في القرآن الكريم، القاهرة، دار الرشاد، ط/1، 1419هـ - 1998م، ص99.

لذا يجب أن يبقى المجتمع نظيفاً من عوامل الفساد، وحمايته من انتشار الجرائم والانحلال الخلقي،

ويتطلب ذلك:

- إعداد الدعاة القادرين على القيام بمهام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- قيام الدولة بواجبها في تغيير المنكر، بسد الذرائع أمام أصحاب النزعات العدوانية من ممارسة الجرائم بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث

خصائص التغيير وأهدافه ووسائله ومعوقاته

المطلب الأول: خصائص التغيير

إن التغيير في المجتمع الإسلامي يتميز بخصائص عديدة عن التغيير في المجتمعات غير الإسلامية، وأهم هذه الخصائص ما يأتي:

أولاً: كلية التغيير

إن التغيير الإسلامي ليس مجرد تغيير جانب من جوانب الحياة الإنسانية الاجتماعية أو السياسية أو العقائدية؛ وإنما هو بحكم طبيعته منهج كلي وشامل⁽¹⁾؛ فلا يقتصر على جانب دون آخر؛ وإنما يتناول كافة الجوانب في المجتمع الإسلامي؛ الدينية والاجتماعية والسياسية والإدارية... إلخ.

ثانياً: عقائدية التغيير⁽²⁾

فعقائدية الإسلام هي التي تحكم طبيعته ومنهجه التغييري، فالإطار الذي يحدد به الإسلام سياسة التغيير يرتكز على دعامتين أساسيتين:

أولاً: سلامة الغاية التي يستهدفها منهج التغيير الإسلامي والتي لا تأبه لها مقاييس التغيير الحزبية والسياسية والعسكرية الدنيوية البشرية.

(1) يكن، فتحي، الشباب والتغيير، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1399هـ - 1979م، ص 20.

(2) أنظر: يكن: الشباب والتغيير، ص 21.

ثانياً: سلامة الوسيلة وضمان مشروعيتها وموافقتها لروح الإسلام كي تتحقق صيانة التغيير الإسلامي من كل انتكاس أو ارتكاس..

فالإسلام لا يعتبر التغيير غاية بل وسيلة لاقامة أمر الله وتنفيذ حاكميته... فإذا كان التغيير لا يضمن تحقيق هذه الغاية يتسبب لإساءة بالغة إلى الإسلام نفسه.

ثالثاً: إنسانية التغيير

خلق الله الإنسان مميزاً عن باقي المخلوقات من جماد ونبات وحيوان، وهي نعمة كبرى اختص بها الإنسان، فالجماد _مثلاً_ لا ينمو ولا يحس ولا يفكر، والنبات ينمو ولا يحس ولا يفكر، وأما الحيوان فإنه يحس لكنه لا يفكر، أما الإنسان وحده فهو الذي ينمو ويحس ويفكر وقد منحه الله الأخلاق والعواطف، وهداه للإيمان، ولذلك جعله وحده أهلاً للتكليف والسيادة على الأرض⁽¹⁾، يشير القرآن إلى هذه المزايا بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾⁽²⁾.

وإذا كان الله تعالى قد كرم الإنسان كل هذا التكريم، فلا بد أن يأخذ هذا التغيير تكريم الإنسان بظر الاعتبار، فأى نظام في الحياة يجعل من الإنسان آلة، ويقضي على إنسانيته وأدميته وحرية، لا يقره القرآن الكريم⁽³⁾.

(1) حماد، محمود أحمد، المجتمع الإسلامي كيف يبعث من جديد، القاهرة دار التضامن، ط/1، 1403هـ — - 1983م، ص12.

(2) سورة الأحزاب: 72.

(3) عبد الحميد، محسن، منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، بغداد، المكتبة الوطنية، 1986م، ص112.

إذن، التغيير الإسلامي لا يكون من الخير إلى الشر، وإنما من الشر إلى الخير، لذلك كانت نتائجه إيجابية على الفرد والمجتمع.

المطلب الثاني: أهداف التغيير

يهدف التغيير إلى إحداث:

أولاً: بناء المجتمع العابد

يخطط الإسلام في اتجاهه نحو تغيير المجتمع لتقوية الصلة بين أفراد المجتمع وبين خالقهم

سبحانه وتعالى لبناء حياتهم كلها على أساس العبودية الخالصة له ﷻ وحده لا شريك له⁽¹⁾.

والآيات التي تدعو لهذا الاتجاه عديدة، وتحثُّ على عبادة الله وحده لا شريك له، منها قوله

تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَسُكُوتِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽⁴⁾.

وبناء المجتمع العابد لا يتحقق إلا بالتقوى، والتقوى لا تأتي إلا عن طريق العبادات؛ فالصلاة

تجعل المسلم مزوداً بشحنات إيمانية من القوة المستمدة من قوة هذا الدين العظيم، والثقة بالنفس

المستمدة من الثقة بالله عز وجل والأمل بالمستقبل المستمد من الأمل بنصر الله وثواب الجنة⁽⁵⁾.

(1) عبد الحميد، محسن، حركة التغيير الاجتماعي في القرآن، بغداد، مطبعة الحوادث، 1979م، ص75.

(2) سورة النساء: 35.

(3) سورة البقرة: 22.

(4) سورة الأنعام: 163.

(5) جاب الله، محمد عبد المقصود، أحكام العبادات، ط1، 1406هـ - 1986م، ص147.

ولذلك ربطت الآيات التي تأمر بالعبادات بين العبادة وبين التقوى، ففي شأن الصلاة يقول تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽¹⁾.

كما أنها تجعل المسلم في كل يومه وأحواله على قرينة وصلّة من الله ﷻ، ملتزماً بطاعته، مقرباً إليه بنوافله.

أما الصوم فإنه يربي المسلم على مراقبة الله تعالى في السر والعلن؛ لأنها عبادة بينه وبين ربه ﷻ لا يطلع عليه أحد، وبذلك يتعلم الصدق والأمانة ويربي ضميره، ويُني لديه الرقابة الذاتية، وبالتالي تؤهله هذه المراقبة لتقديم كل أعمال الخير.

وأما الزكاة فإنها تحقق الراحة النفسية للمسلم وتحرره من سيطرة حب المال، كما تربي المسلم على الإنفاق في سبيل الله تعالى.

وتعود على مؤديها بالخير والنماء والبركة، فبالصدقة يأتي الخير وتحل البركة في المال المزكى، ويشعر المسلم بأنه عضو فعال في مجتمعه يُسهم في بنائه.

وأما الحج ففيه تربية وجدانية لما فيه من طاعة وبذل نفقات وتطهير للنفس من الآثام، وتجديد للعزم على إتباع حياة جديدة⁽²⁾.

ويشعر المسلم بالسعادة، ومثل هذا الشعور يدفع عن المسلم الشعور بالحزن والاكتئاب، كما

(1) سورة العنكبوت: 45.

(2) طهطاوي، سيد أحمد، القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، ط/1، 1416هـ — 1996م، ص162.

يبعد عنه هموم الحياة ومتاعبها⁽¹⁾، كما يربي المسلم على التحرر من الدنيا، والامتثال لأوامر الله، والابتعاد عن نواهيه، مما يؤدي إلى تطهير نفسه من المعاصي والآثام، وينال به التقرب من الله ﷻ وتتعمق الصلة به، ويحصل على محبته ورضوانه.

ثانياً: بناء المجتمع الفاضل

يدعو الإسلام إلى بناء المجتمع الفاضل الذي تسود فيه القيم الإيجابية التي تضبط سلوك الإنسان، وتبقيه في إطار إنسانيته، وتحول بينه وبين الوقوع أسير غرائزه التي تؤدي إلى كثرة الاصطدامات في المجتمع⁽²⁾.

لذلك حرم الإسلام الفواحش، وكل ما يؤدي إليها، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَنْزِلُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿151﴾ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَنْ نَكْفِ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿3﴾.

(1) العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، ص 196.

(2) محسن: منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، ص 107.

(3) سورة الأنعام: 151 - 152.

إن هذه الآيات الكريمة تحدد معالم الوجود المشترك بين أفراد المجتمع الإسلامي، وتجعل لكل فرد فيه مكانة، وتؤمنه في الحياة من أن يُعتدى عليه من غيره في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه، أو في أن يسقط حقه في الحياة بسبب ضعفه لصغر سنه أو وهنه بشيخوخته⁽¹⁾.

كما احتوت هذه الآيات الكريمة على مظاهر الفواحش العديدة ، كالنفاق، وشهادة الزور، والكذب، والغش، وقطع صلة الرحم.. الخ.

وبناءً على ذلك نجد أن الإسلام وضع الحدود للحد من انتشار هذه الفواحش وللحفاظ على المجتمع الإسلامي الفاضل؛ كحد السرقة، وحد الزنا، وحد القذف...

فهذه الحدود وغيرها شرعت للمحافظة على أمن المجتمع الإسلامي، ومنعاً لانتشار الفواحش والفساد من أصوله، التي تؤدي بدورها إلى تفكك المجتمع الإسلامي.

وهذا يعني أن تربي الأجيال على العفة والقناعة والأمانة والصدق وغيرها من الأخلاق الإسلامية الفاضلة، وهذا يتطلب تقديم نماذج صالحة للأجيال الناشئة ابتداءً بالوالدين، ومروراً بالمعلمين، وانتهاءً بالأشخاص ذوي المكانة المؤثرة بالأجيال، ومن خلال وسائل الإعلام، بتقديم البرامج التي تنمي هذه الأخلاق فيهم.

(1) موسى، سيد عبد الحميد، الفرد والمجتمع في الإسلام، القاهرة، دار التوفيق النموذجية، ط/1، 1409هـ —

1989م، ص (23).

ثالثاً: بناء المجتمع العامل

قال تعالى: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿اَنِي لَا اُضِيعُ

عَمَلٌ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾⁽²⁾، وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَلْوَكُمْ اَيْكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽³⁾.

من خلال هذه الآيات الكريمة يتبين أن الاستخلاف لن يتحقق إلا بالحركة والعمل؛ لأن الإنسان المستخلف يثبت بعمله حقيقة وجوده وإنسانيته⁽⁴⁾.

والعمل في الإسلام هو: "كل جهد بشري يقوم ببذله الإنسان بجسمه أو عقله في سبيل إنشاء منفعة أو إشباع رغبة أو سد حاجة"⁽⁵⁾.

لذا نجد أن الإسلام اهتمّ بخلق المجتمع العامل، لأن العمل عنصر أساس في الإنتاج، وهو الطريق الوحيد الذي يمكن الفرد من سدّ حاجاته، وحاجات من يعول، ويحفظ له كرامته، ويقضي على الكسل والخمول، فيحقق له العيش الكريم.

(1) سورة التوبة: 105.

(2) سورة آل عمران: 195.

(3) سورة الملك: 2.

(4) عبد الحميد: حركة التغيير الاجتماعي في القرآن، ص 88، بتصرف.

(5) عطوي، فوزي، الاقتصاد والمال في التشريع الإسلامي والنظم الوضعية، بيروت - لبنان، دار الفكر،

1408هـ - 1988م، ص 88.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره، خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه"⁽¹⁾.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "لا يقعدن أحدكم عن الرزق وهو يقول: اللهم ارزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً، ولا فضة، وأن الله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض"⁽²⁾.

لذلك فالإسلام يعد العمل ركناً مهماً في الحياة، ولم يجعل العبادات عائقاً عن طلبه، فقد قال

ﷺ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَاسْهَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾⁽³⁾.

كما نجد أن الإسلام شرع القواعد التي تنظم شؤون الحياة كافة، فحث المسلم على أن يتحرى الحلال الطيب فيما يكتسب، ويتجنب الكسب الحرام، فجعل ﷻ الكسب الحلال سبباً لاستجابة الدعاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾"⁽⁴⁾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة، حديث رقم (1470)، ص 311.

(2) أبو الفتح الأبهني، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط/2، 1424هـ _ 2003م، ص 241 _ 326.

(3) سورة الجمعة: 10.

(4) سورة المؤمنون: 51.

مَرْفُتَاكُمْ⁽¹⁾، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب! يا

رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك⁽²⁾.

وجعل الإسلام العمل حقاً للفرد، فلا يجوز لفرد أو جماعة أو دولة أن تمنع الإنسان المسلم من العمل بما يتناسب مع إمكاناته وقدراته، أو التضيق عليه لأي سبب من الأسباب، فالاعتداء على حق العمل، اعتداء غير مباشر على الحياة، والدولة مطالبة بتأمين العمل المناسب لكل فرد من رعاياها⁽³⁾.

وللعمل آثارٌ على المسلم حيث إنه يبعث في النفس الطمأنينة والأمان ويربي فيها الطاعة والدقة، والصبر على إعمال الفكر، والمثابرة، فيكسب الإنسان المهارة في مهنته⁽⁴⁾.

ومن الناحية النفسية، فإن العمل يملأ الفراغ النفسي، الذي يسبب الكآبة والضجر، ويرفع معنويات الإنسان، عبر شعوره بأن له دوراً إنتاجياً، كما يجعله أكثر تفاعلاً مع الطبيعة والحياة والمحيط الاجتماعي⁽⁵⁾.

وبالعمل يتغير المجتمع إلى الأفضل فيقضي على البطالة التي من شأنها تعمل على إفساد الشباب، الذي يؤدي بدوره إلى إفساد المجتمعات، وبعدها عن رسالة الإسلام؛ لذا من الضروري

(1) سورة البقرة: 172.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها حديث رقم (1015).

(3) الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، ص 242.

(4) جادو، عبد العزيز، الطريق إلى علم النور والحق في ضوء علم النفس الحديث، الاسكندرية _ مصر، المكتب الجامعي الحديث، 2000م، ص 59.

(5) الصفار، حسن، العمل والفاعلية طريق التقدم، بيروت _ لبنان، دار الكنوز الأدبية، ط/1، 2000م، ص 44.

تربية الأبناء على العمل والجد والنشاط من قبل الأسرة أولاً، ثم المؤسسات التربوية الأخرى؛
كالمدسة، والمسجد، ووسائل الاتصال.

رابعاً: بناء المجتمع العالم

اهتم الإسلام بالعلم وحث عليه، وتبين لنا ذلك من خلال الآيات القرآنية الكريمة،
والأحاديث النبوية الشريفة، التي وردت بشأن العلم، وبيان فضله ومنزلته الرفيعة، فأول آية نزلت
على الرسول ﷺ تحت على العلم، قال الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿1﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ عَلَقٍ ﴿2﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿3﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿4﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿1﴾.
كما اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات الكريمة التي تحث على العلم وتأم به،
وترغب الإنسان في النظر في الكون والحياة، والاستفادة من خيراتها، قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
مِمَّ خُلِقَ ﴿5﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿6﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿2﴾.

وتركز جهد الرسول ﷺ على نقل المجتمع المسلم إلى دائرة العلم، في قوله وعمله، حتى جعله
ﷺ فريضة على كل مسلم ومسلمة، وجعل العالم مفضلاً على العابد، على أن يكون العلم صالحاً
خالصاً لوجه الله تعالى، ليبقى ضمن منظور خيرية الحياة التي يريدها الإسلام وليس للمباهاة
والشهرة والاستعلاء⁽³⁾، فيقول ﷺ: "من طلب العلم ليماري به العلماء أو ليجاري به السفهاء، أو

(1) سورة العلق: 1 - 5.

(2) سورة الطارق: 5 - 7.

(3) الأسمر: فلسفة التربية الإسلامية، ص 296.

يصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله النار"⁽¹⁾، وأودع عزّ وجل في الإنسان الاستعدادات والطاقات الكاملة للاستفادة من قوانين الحياة المادية كي يسخرها ويكتشف مجاهيلها، ويخطط الحياة على أساسها.

المطلب الثالث: وسائل التغيير إلى الأفضل

إن من أهم وسائل التغيير الإيجابي في المجتمع الإسلامي ما يأتي:

أولاً: العلم والتعليم

العلم نقيض الجهل في اللغة، أما في الاصطلاح فهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع⁽²⁾، ويقصد به تعلّم العلم الشرعي الذي يؤدي إلى الاستقامة في الحياة الدنيا والنجاة في الآخرة. وكذلك تعلّم العلم الدنيوي كالطب والاقتصاد والهندسة والكيمياء والفيزياء، وكل ما يجدّ في المستقبل من الحاجة إلى علوم أخرى، وكل ما يحتاج إليه في شؤون المجتمع ما دام في الإطار الشرعي⁽³⁾.

والإسلام إنما ينوّه بالعلم، ويرفع من شأنه، ويرفع أهله إليه، لأن به يميز الإنسان بين الحق والباطل، بين الخير والشر، والصواب والخطأ، والهدى والضلال، والحسن والقبيح، والنافع والضار...، وعلى قدر أخذ الأمم به يكون نهوضها الحضاري، ورفقها الصناعي، وازدهارها التجاري، ونموّها الزراعي، واتساعها العمراني، فهو يرقى بالحياة، ويجعلها وارفة الظلال جديرة

(1) أخرجه الترمذي في جامعه، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، حديث رقم (2654)، 32/5، وقال أبو عيسى: هذا غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(2) الجرجاني: التعريفات، ص200.

(3) المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ، تونس، 1987م، ص306.

بأن ينعم بها الإنسان ويسعد⁽¹⁾، فبالعلم يحدث التغيير الفردي والتغيير الجماعي الذي يشمل المجتمع والأمم والحضارات.

ثانياً: الإرادة

والإرادة هي: قوة الرغبة والاختيار التي توجه الإنسان نحو قصد معين، وهي قوة باعثة يتولد منها الميل إلى الشيء أو النفور منه⁽²⁾.

وخلق الله تعالى للإنسان الميل والرغبة، والإرادة، كما خلق له القدرة التي تحركها، وبذلك يتحدد سلوك الإنسان تبعاً لإرادته التي توجهه لنوع السلوك الذي يسلكه أخلاقياً أم غير أخلاقي⁽³⁾. " فجعل الله تعالى خيار التغيير والإصلاح مرهوناً بالإرادة البشرية قبل إرادته هو، وفي هذا تكريم للبشر من جهة، وامتحان ومسؤولية من جهة أخرى"⁽⁴⁾.

فالإنسان الذي يتمتع بالإرادة يكون قادراً على إحداث التغيير، والتغيير المطلوب يجب أن يكون نابعاً من ذاته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽⁵⁾، وهذه النفس هي التي تدعو صاحبها إلى فعل الخير أو الشر، بالإرادة يتولد لدى الإنسان الرغبة والميل نحو

(1) سابق، السيد، عناصر القوة في الإسلام، بيروت _ لبنان، دار الكتاب العربي، ط/3، 1393هـ — ، 1973م، ص78.

(2) الكيلاني، ماجد، أهداف التربية الإسلامية، بيروت - لبنان، مؤسسة الريان، 1419هـ - 1998م، ص122.

(3) عبد العزيز، جمعة أمين، التغيير على منهاج النبوة "إرادة العمل"، الإسكندرية، دار الدعوة، ط/2، 1416هـ - 1996م، ص344.

(4) العبيدي، خالد فائق، القوانين القرآنية، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1426هـ - 2000م، ص155.

(5) سورة الرعد: 11.

التغيير إلى السلوك الأفضل، والابتعاد عن السلوك الأسوأ، وهدفه من ذلك الارتقاء، ونيل أعلى الدرجات.

فالإرادة هي التي تتحكم بالسلوك، وهي المسئولة عن تغيير ما بالنفوس.

ثالثاً: الإقتصاد

فالمال من أهم وسائل التغيير إذا وفق المسلم لاستخدامها في طاعة الله تعالى، فحينما يقدم المسلم زكاة أمواله قربة لله تعالى فإنه بذلك يمنع الفقراء والمحتاجين من ذل السؤال.

فالمال له الدور الكبير في تغيير المجتمعات وتطويرها، ويعدُّ وسيلة للنهوض بالحياة وعمران الحياة، سواء كان من الناحية العلمية أو الصناعية أو الزراعية أو التجارية.. الخ، فلولا المال لما تمكنت الشعوب من الحصول على متطلباتها، ولما تقدمت الأمم وازدهرت الحضارات.

فأي أمة تسعى إلى تحقيق تطور مستمر في متطلبات الحياة على هذه الأرض، التي استعمر الله الإنسان فيها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾⁽¹⁾، حيث

تتطلب طبيعة الحياة نمواً في الاحتياطات من حيث الكم لمواجهة التزايد في أعداد البشر، ومن حيث النوع لمواكبة التطور الإنساني، بالابتكار والإبداع والاختراع، وتطوير وتنويع الإنتاج، وهذا ما يتطلب بحثاً ودراسات وتجارب واستيعاب وإتقان العلوم الطبيعية، واستثمار تسخير الطبيعة إلى غير ذلك من الأمور، فالأسلحة ووسائل المواصلات البرية والبحرية والجوية، ووسائل الاتصالات وغيرها كثير، تتطور يومياً، والمجتمع الذي يثبت عند مستوى معين يجد نفسه خارج

(1) سورة هود: 61.

المجتمع الإنساني في فترة وجيزة، وكل هذه الجهود _بدون استثناء_ تحتاج إلى المال⁽¹⁾، الذي بدوره يؤدي إلى تطوير وتغيير المجتمعات نحو الأفضل.

فالمال نعمة من المولى عزّ وجلّ، فيجب على المسلم أن يشكره على ما أنعم عليه، وأن يستغله في وجوه الخير، ويبتعد عن استخدامه في الفساد والطغيان والظلم، قال تعالى: ﴿وَكُوبَسَطَ

اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبِغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾⁽²⁾.

رابعاً: الانطلاق في الدعوة إلى الله عز وجل

الدعوة إلى الله ﷻ من أهم وسائل التغيير التي تؤدي إلى استقامة الناس، وأنها من أهم وسائل الفلاح، فهي أحسن الأقوال كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ

وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽³⁾، فكل من يدعو إلى الخير فهو يدخل في مصداق هذا القول

الشريف سواء كان يدعو إلى أعمال الخير الظاهرة أو إلى أعماله الباطنة⁽⁴⁾، على أن تكون هذه الدعوة بإخلاص وصدق، لا أن يكون الهدف منها الحصول على المنافع الدنيوية، قال تعالى: ﴿قُلْ

هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁵⁾.

(1) الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، عمان _ الأردن، دار الفرقان، ط/1، 1417هـ _ 1997م، ص 307.

(2) سورة الشورى: 27.

(3) سورة فصلت: 33.

(4) الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، تفسير الخازن، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1995م، (4/86).

(5) سورة يوسف: 108.

وقال ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلال كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"⁽¹⁾.

فهذا الحديث يبين فضل من دعا إلى الهدى والخير فإنه يكتب له من الأجر مثل أجور من تبعه واستفاد من دعوته ولو بعد وفاته إلى آخر حياة الناس في الأرض⁽²⁾.

إذن فعلى الدعاة إلى الله عز وجل أن يعيدوا النظر في مقاصدهم؛ إذ إن نصر الله عز وجل لا ينزل إلا على قوم قد صحت مقاصدهم فأخلصوا دعوتهم وعبوديتهم، وصحت فهمهم بالسير على ما كان عليه الرسول ﷺ وصحبه الكرام عقيدةً وعبادةً وسلوكاً. أما إذا تأخر نصر الله تعالى فهذا دليل على خلل في القصد أو خلل في الفهم وعندئذٍ يجب تلافي هذا الخلل والانسجام مع سنن الله عز وجل في التغيير⁽³⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾⁽⁴⁾.

خامساً: إعداد النفوس للجهاد في سبيل الله

فالجهاد هو بذل الوسع والطاقة في قتال المشركين والكافرين، وهو سبب عزة المسلمين، قال

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ

مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾⁽⁵⁾، ويعدّ الجهاد من أهم وسائل التغيير في المجتمعات الإسلامية.

(1) أخرجه الترمذي في **جامعه**، كتاب العلم، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلاله، حديث رقم

(2679) (39/5)، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(2) محمود، عبد الحليم، **فقه الدعوة إلى الله**، المنصورة، دار الوفاء، 1991م، 3/1.

(3) الجليل: **وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم**، ص 235/1.

(4) سورة الرعد: 11.

(5) سورة التوبة: 123.

المطلب الرابع: معوقات التغيير

قد يواجه الفرد أو المجتمع بعض المعوقات التي تحول دون التغيير للأفضل، ومنها:

1. التمسك بالقديم والتقليد للماضي، فالتغيير قد يوجب تحطيم امتياز أصحاب الامتيازات، لذا يخاف الراكدون من إجازة الجديد، لأنه قد يفتح الباب على جديد آخر مما يؤدي إلى تحطيم المجتمع فيقف الإنسان أمام التجديد أحياناً خوفاً من تحطيم ما اعتاده⁽¹⁾، فيؤثر البقاء على القديم، ولا يحب التجديد، لذلك تجده يحارب كل جديد ويتمرد عليه، لذا كان الجاهليون يقولون: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾⁽²⁾، إذ أن أكثر الأفكار لا تكون كاملة عند ظهورها، وإن بعض الناس لا يعترفون بتفوق المفكر الذي أبدع فكراً جديداً إلا بعد شروط ومراحل.

2. السطحية في إدراك عملية التغيير مما يحولها إلى انتكاسة تحمل معها الكثير من السلبيات فتصبح تخلفاً، ونرى ذلك جلياً في تلك المجتمعات التي تستورد التكنولوجيا الحديثة، وهي تحمل في كيانها كماً هائلاً من التخلف المعنوي. وهذا أمر أحدث فجوة كبيرة في داخل تلك المجتمعات بحيث خلفت هذه الفجوة مشكلات ثقافية جديدة⁽³⁾.

3. ضيق الوقت، نجد أحياناً أن ضيق الوقت يقف عائقاً أمام التغيير؛ فالبعض لا يجد متسعاً من الوقت للقيام بتغيير ما هو موجود في المجتمع من سلبيات.

(1) معاشي، مرتضى، سبب التغيير وملاحمة، www.alnahwi.com، تاريخ الدخول، 2008/1/7.

(2) سورة الزخرف: 23.

(3) معاشي، سبب التغيير وملاحمة، www.alnahwi.com، تاريخ الدخول، 2008/1/7.

لذا " اقتضت سنة التغيير الاجتماعي أن يكون الوقت أحد الوسائل الهامة في قلب الأحوال،
وتغيير الظروف، من هنا كان لازماً على الإنسان الراغب في تغيير نفسه أن يصبح الوقت
لديه أعلى شيء في الحياة "(1)، ويقول مالك بن نبي: " نحن في حاجة ملحة إلى توقيت دقيق
وخطوات واسعة كي نعوض تأخرنا "(2).

4. من المعوقات ما يتطلبه التغيير من تكاليف وجهد، والإنسان بطبيعته يؤثر الدعة والراحة.
5. ومن المعوقات، خوف المجتمع من الابتعاد عن القوانين التي يسنها ويفرضها على أفرادها.
- إذ إن الناس كثيراً ما يتضايقون من بعض العادات والتقاليد، ولكن خوفهم من العزلة
الاجتماعية يجعلهم يتمسكون بها(3)، ويبقون عليها رغم أنها أحياناً تكون مخالفة للشرع.
6. الأمية والجهل؛ إذ إن الكثير من الناس في بعض المجتمعات يجهلون بعض الإمكانيات
والحلول البديلة التي توضع لحل المشكلات التي تواجه المجتمع(4)، لذلك يؤثر البقاء
على القديم، ويقاومون كل جديد ويحافظون على موروثة الآباء والأجداد بخيرها
وشرها، بصحيحها وسقيمها.

(1) باظاهر، ابن عيسى، فاعلية المسلم المعاصر رؤية في الواقع والطموح، عمان - الأردن، دار البيارق، ط/1،

1417هـ - 1997م، ص 135.

(2) بن نبي: شروط النهضة، ص 146.

(3) أنظر، بكار: تجديد الوعي، ص 186.

(4) أنظر، النوري، قيس، آفاق التغيير الاجتماعي، بغداد، المكتبة الوطنية، 1990م، ص 32 وما بعدها.

المبحث الرابع

الدلالات التربوية المستنبطة من سنة التغيير

المطلب الأول: الآثار المستنبطة من سنة التغيير

إن من يأخذ بسنة الله في التغيير، يجني ثماراً عديدة، جراء ذلك، ومنها:

- السكينة والطمأنينة من أهم الآثار التربوية النفسية التي تظهر عند الإيمان بالله تعالى، إذ إن الإنسان يطمئن على صحته ورزقه وغير ذلك من مصالح حياته بأن الله عز وجل لن يسلب ذلك كله إلا بعد أن يحدث الإنسان تغييراً لما هو فيه من خير وهداية إلى الأسوأ، كالبطر والكفر بالنعم، والقيام بالطغيان والإفساد في الأرض، حينئذ تتحول النعم كلها إلى نقم فالجزاء يكون من جنس العمل.
- السعادة، فالفرد الذي يبقى على حال واحد ونمط ممل في حياته لن يجد في الغالب السعادة، ولكن من غير في حياته نحو الأفضل سواء في العبادات أو العلم أو القراءة أو غيرها فسيجد معنى السعادة والحياة الطبيعية⁽¹⁾.
- تؤثر سنة التغيير في الفرد المسلم بأن تربيته تربية متكاملة، روحياً وعقلياً وجسمياً، بحيث يكون قوياً في روحه فيصمد أمام الشهوات والشبهات، ولا يضعف عند أي إغراء، قوياً في عقله، ذا فكر سليم وتفكير سديد واطلاع واسع يمكنه من الوقوف في وجه الغزو الفكري الأجنبي، وينقله إلى مرحلة التحدي والتصدي للكفر والإلحاد في موقعهما

(1) المغيري، عبد المحسن بن زيد، نقطة تحول، www.islamlight.net

وموطنهما قوياً في جسمه بحيث يكون قادراً على تحمل أعباء الجهاد لاسترداد وطنه ومصارعة عدوه⁽¹⁾، وتحمل أعباء مهام الاستخلاف في الأرض وعمارتها.

• تجعل من المسلم إنساناً متماسكاً قوي العزيمة والإرادة، معطاءً في كل ميدان من ميادين الحياة؛ لأن هذه شروط لا بد منها فيمن يتصدى لمهمة التغيير.

• المبادرة والإيجابية والسعي الدؤوب إلى التغيير الإيجابي، ودوام بذل الجهد في الارتقاء بالمجتمع الإسلامي بأفراده نحو حافز ومستقبل أفضل.

المطلب الثاني: دور مؤسسات التربية في التعامل مع سنة التغيير

أولاً: دور الأسرة في التعامل مع سنة التغيير

من شأن الأسرة المسلمة الواعية أن تحسن التعامل مع سنة التغيير، ويكون ذلك من خلال ما يأتي:

تربية الأبناء على عدم الركون إلى حال السوء بحسبانها قدراً مقدراً، فكل تغيير سلبي يقع على الفرد أو الجماعة مردّه إلى النفس⁽²⁾، وهذا يلقي على عاتق المسلم مسؤولية مراقبة النفس وإصلاحها والارتقاء بها.

وتذكيرهم بأن التغيير نحو الأفضل مدعاة لاستجلاب النعم، والعزة والمنعة، كما أن التغيير نحو الأسوأ مجلبة للذل وزوال نعم الله تعالى على عباده قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً

أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

(1) أبو فارس: منهج الحركة الإسلامية في التغيير، ص 50.

(2) الدغشي: نظرية المعرفة في القرآن وتضمناتها التربوية، ص 180.

(3) سورة الأنفال: 53.

وإن على الأسرة المسلمة أن تتخلص من قيم الضعف والقيم التي لا تنتمي لقيم الإسلام الصحيحة، إذ إن عليها أن تبني مجتمعاً مسلماً على قيم الإسلام الصحيحة، وهذا لا يكون إلا بتربية أبنائها، وهو أساس التغيير الصحيح نحو القيم الإسلامية⁽¹⁾، وتربيتهم على النقد الذاتي وإصلاح الخلل الناشئ عن تقصير الذات ابتداءً⁽²⁾، وعلى ممارسة النقد البناء، ومزاولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه أداة التغيير والإصلاح.

كما على الأسرة أن تبين لأبنائها أن الجزاء يكون من جنس العمل، فمن عمل الخير فسيجد الخير الكثير من الله في الدنيا وفي الآخرة جنات النعيم، ومن عمل شراً وفساداً فسيجد البطش والانتقام من الله عزّ وجل في الدنيا وفي الآخرة العذاب الأليم.

ويكون ذلك بتعويد الأبناء فعل الخير وتقديم المثل الأعلى أو الأنموذج للأبناء من خلال سلوك الوالدين أمام أبنائهما، وحرصهما على فعل الخير، وعلى العدل بين الأبناء لسد منافذ الحقد والكراهية بين الأخوة، مما يجعل بعضهم يسيء إلى بعض.

ثانياً: دور المدرسة في التعامل مع سنة التغيير

إن في المدرسة يمكن تهيئة الجو المناسب الذي يشعر فيه التلميذ بالراحة النفسية والطمأنينة؛ وذلك لاستعمال عقولهم والتفكير المتزن المبني على حقائق علمية وقواعد علمية سليمة حتى يتعرفوا على سنن الكون والمجتمع وقوانينه⁽³⁾.

(1) أبو العنين، علي مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم الحلي، ط/1408هـ-1998م، ص164.

(2) الدغشي: نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، ص180.

(3) مطر: التغير الاجتماعي، ص68.

فمن أهم أهداف المدرسة أن تُعنى بالسنن الاجتماعية ومن هذه السنن سنة التغيير لدى التلاميذ، وذلك يتم من خلال ما يلي :

أولاً: المعلم

أن يحرص المربون على إعداد جيل قوي قادر على تحمل المسؤولية وقادر على العمل والإنتاج لأحداث التغيير الإيجابي اجتماعياً وتقنياً واقتصادياً... في المجتمعات الإسلامية.

وعلى المعلم أن يغير من أساليبه في التعليم، ويعمل على تطويرها بأن لا يبقى رهن أسلوب واحد، بل ينوع ويغير في الأساليب كراهة السامة على الطلاب. كما عليه أن ينوع من أساليبه في العقاب والثواب.

والعمل على تغيير المفاهيم والقيم السلوكية، والقناعات غير المرغوب فيها، والابتعاد عن المغالطات العقدية لدى التلاميذ، التي أدت إلى عدم الاهتمام بأمر المسلمين، وتغيير الأفكار الفاسدة واستبدالها بأفكار صافية نقية.

ثانياً: المتعلم

إن التغيير إما أن يكون ذاتياً نابعاً من نفس الفرد، وإما أن يكون خارجياً عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهذا يتطلب مراعاة هذه السنة في العملية التربوية بكل عناصرها؛ فالمتعلم يُربى تربية إيمانية تقوي فيه الرقابة الذاتية يصبح هو العنصر الفعّال في عملية التغيير عن طريق استشعار

عظمة الله ومراقبته في كل الأحوال، وهذا ما تعبر عنه النفس اللوامة في قوله تعالى: ﴿وَكَا أَلْسَمُ

بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾⁽¹⁾.

ثالثاً: المنهاج

مراجعة مناهج التربية والتعليم وطرائقها وصفات العاملين فيها، والقائمين عليها، واستبدال ذلك كله بنماذج مختلفة قادرة على رد إنسانية الإنسان المسلم التي شوهتها مؤسسات تربوية أرسى قواعدها ووضع مناهجها وتطبيقاتها خبراء الاستعمار، ثم تابع التخريب ضحايا الاغتراب التربوي؛ فكانت ثمرة تخريبهم إخراج أجيال لم تتقن إلا الهزيمة، وترك الجهاد⁽²⁾.

وتبصير فلسفة التربية الإسلامية بضرورة مراعاتها للتطورات التي تشهدها الحياة المادية والاجتماعية، عن طريق المناهج المرنة القادرة على استيعاب مستجدات حياة المتعلمين⁽³⁾. وإجراء مراجعات مستمرة للمضامين والمحتويات والوسائل التعليمية بما يلبي حاجات المتعلمين في ضوء التربية الإسلامية، وفي ضوء مستجدات العصر.

وأن يشمل التغيير تغييراً في المناهج ومحتوى المواد الدراسية إلى الأفضل وتطويرها، والعمل على تقويمها بين الحين والآخر، تحت إشراف مختصين.

(1) سورة القيامة: 2.

(2) الكيلاني، ماجد، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط/3،

1424هـ - 2003م، ص16.

(3) الدغشي: نظرية المعرفة في القرآن وتضمناتها التربوية، ص427.

وعلى واضعي المناهج التربوية مراعاة التطورات التي تشهدها الحياة المادية والاجتماعية، القدرة على استيعاب مستجدات حياة المتعلمين.

إضافة إلى أن تتضمن البرامج والمناهج التربوية التعريف بكل ما هو خير، وبكل ما يرضي الله سبحانه وتعالى، ليحرص المسلم على إتباعه، وبيان ما هو شر وما يغضب الله عز وجل ليحرص المسلم على اجتنابه.

ثالثاً: دور المسجد في التعامل مع سنة التغيير

وذلك من خلال حث الأمة الإسلامية على أن تغير من واقعها المتردي إلى الأفضل، وذلك بالأخذ بالأسباب المادية والمعنوية لتحقيق التغيير المنشود.

وعلى المسلمين أن يعملوا على تغيير المفاهيم والقيم السلوكية غير المرغوب فيها، والابتعاد عن المغالطات العقدية التي أدت إلى عدم الاهتمام بأمر المسلمين.

كما على الداعية أن يغير من سلوكياته غير المرغوب بها إلى الأفضل؛ لأن الداعية محل

أنظار المدعويين، وبمثابة القدوة لهم، قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ

تَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾.

وعليه أن يتبع في أسلوبه للدعوة أكثر من أسلوب فلا يبقى على نهج واحد وطريقة واحدة، كأن يستخدم أحياناً أسلوب الحكمة، وأحياناً الموعظة الحسنة، وثالثه أسلوب المجادلة،

(1) سورة البقرة 44.

لقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽¹⁾. وأن يستثمر

جهده ووقته في تغيير المعتقدات والقيم والأفكار المخالفة للشريعة الإسلامية، والسائدة في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: دور وسائل الإعلام في التعامل مع سنة التغيير

على رجل الإعلام الإسلامي أن يعمل دائماً على تجديد الدعوة إلى التوحيد، وهذه الدعوة لا تعني أن التوحيد غير موجود؛ بل هو تذكير مستمر ينبغي أن يركز عليه الداعية الإعلامي دائماً⁽²⁾.

وتسليط الضوء على الظواهر والقيم السلبية في المجتمع لمحاربتها، والعمل على تغييرها مثل ظاهرة البطالة، والتقليل من شأن العمل المهني، وثقافة العيب.

وإعداد البرامج التي تعمل على تربية الأفراد بشكل عام والشباب بشكل خاص على الإقدام، واستغلال الطاقات في الإصلاح والتغيير، ولفت نظر الشباب إلى مجالات العمل الجديدة. وحرص البرامج التربوية على إعداد المسلم إعداداً تربوياً يكون معه قادراً على ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يعني الحرص على بناء الشخصية السوية للمتعلمين، وتنمية الثقة بالنفس لديهم، وتزويدهم بالعلوم والمعارف اللازمة للقيام بالأمر بالمعروف والنهي

⁽¹⁾ سورة النحل: 125.

⁽²⁾ يوسف: محمد خير رمضان، من خصائص الإعلام الإسلامي، مجلة دعوة الحق السنة 8، العدد 97، 1989م، مكة المكرمة، ص15.

عن المنكر ليكون عملهم قائماً على أسس سليمة قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾⁽¹⁾.

وخلاصة القول: إن سنة التغيير هي التحول والانتقال لشيء ما من حالة إلى حالة غير الأولى، وأن للتغيير مجالين: إيجابي من الشر إلى الخير الذي يكون فيه صلاح الفرد والمجتمع، وسلبى من الصلاح والخير إلى الشر والفساد والذي يكون فيه ضلال البشرية .

وللتغيير الإيجابي مراتب؛ أولها التغيير باليد؛ والتي تكون من صلاحيات ولي الأمر، ومن ثم التغيير باللسان؛ التي تكون من صلاحيات العلماء، ومن ثم الانتقال إلى مرتبة التغيير بالقلب التي يشترك فيها ولي الأمر، والعلماء، وعامة الناس.

وللتغيير الإيجابي خصائص ووسائل، فمن خصائصه: الشمول، والعقائدية، والإنسانية. أما الوسائل فهي عديدة، منها: الإرادة، والعلم، والجهاد...

وإن لمؤسسات التربية الدور الفعّال في التعامل مع سنة التغيير؛ كالأُسرة، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام.

(1) سورة يوسف: 108.

الفصل الثالث

سنة الله في التدافع ودلالاتها التربوية، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول : مفهوم التدافع في القرآن الكريم والسنة النبوية.
- المبحث الثاني: مجالات التدافع.
- المبحث الثالث: أشكال التدافع بين الحق والباطل، وأغراضه، ومعوقاته.
- المبحث الرابع: الدلالات التربوية المستنبطة من سنة الله في الابتلاء

تمهيد

إن الله تعالى سنناً اجتماعية لا تتغير ولا تتبدل ولا تتخلف، ومنها سنة التدافع التي يجب على المسلم الإيمان بها والتعامل معها وفق ما شرعه تعالى؛ فهي سنة ثابتة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فبدأ التدافع منذ أن خلق الله الإنسان؛ وذلك بين آدم والشيطان في الجنة قبل أن ينزل آدم وزوجه إلى الأرض. ثم نشب الصراع بين ابني آدم عليه السلام - عندما تقبل القربان من أحدهما ولم يتقبل من الآخر فعمد إلى قتله حسداً، ثم جاء نوح عليه السلام أبو البشر الثاني، ونشب الصراع بينه وبين قومه الذين مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، وانتهى أمرهم بالطوفان ليظهر الأرض من رجس الوثنية، ويحمل نوح - عليه السلام - في سفينة النجاة من كل زوجين اثنين وهكذا تتابعت المسيرة إلى يومنا هذا، ولم يهدأ الصراع والتدافع بعد، ولن يهدأ حتى تنتهي هذه الحياة ويبعث الله الناس إلى جنة أو نار⁽¹⁾.

وقد جاء هذا الفصل ليوضح مفهوم سنة التدافع في القرآن الكريم والسنة النبوية، ومعرفة الحكمة منها، وبيان مجالات هذه السنة، وأغراضها، ومعوقاتهما، وتوضيح الدلالات التربوية المستنبطة من هذه السنة.

(1) الإبراهيم، موسى إبراهيم، حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، عمان، دار الإعلام، ط/1

1423هـ - 2003، ص222.

المبحث الأول

مفهوم التدافع في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الأول: مفهوم التدافع لغة واصطلاحاً

أولاً : مفهوم التدافع لغة:

إن كلمة التدافع مشتقة من الفعل (دفع)، وهو : بمعنى نحى الشيء وأزاله بقوة، ودافع عنه بمعنى دفع. ونقول: دفع الله عنك المكروه دفعاً و دفاعاً، ودافع الله عنك السوء دفاعاً، وتدافع القوم: دفع بعضهم بعضاً. والمدافعة المزاخرة، والاندفاع المضيء في الأمر⁽¹⁾.

ثانياً: مفهوم التدافع اصطلاحاً

فهو: "الصراع و القتال بين الناس، بين الخير والشر وبين الحق والباطل، بين أمة وأمة"⁽²⁾.

إذن التدافع هو صراع بين الحق والباطل، و الخير والشر، و بين الإيمان والكفر على البقاء.

(1) ابن منظور: لسان العرب، 441/9 وما بعدها.

(2) الخطيب: السنن الإلهية ، 107/1.

المطلب الثاني: مفهوم التدافع في القرآن الكريم والسنة النبوية:

أولاً: مفهوم التدافع في القرآن الكريم

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم يجد أن لفظ "الدفع" بمشتقاته ورد في آيات متعددة، وفي مواضع متعددة وبمعان عديدة؛ كالصراع بين الحق والباطل، وبين المؤمنين والكافرين وبين الخير الشر، وهذه الآيات هي:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمُ بَعْضًا لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى

الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

أي لولا أن الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق، و يدفع الفساد في الأرض بأهل الإصلاح فيها، لغلِب أهل الباطل والإفساد في الأرض وبغوا على الصالحين وأوقعوا بهم، حتى يكون لهم السلطان وحدهم، فتفسد الأرض بفسادهم، فكان من فضل الله على العالمين وإحسانه إلى الناس أجمعين أن أذن لأهل دينه الحق المصلحين في الأرض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والباطل المعتدين، فأهل الحق حرب لأهل الباطل في كل زمان، والله ناصرهم ما نصروا الحق، وأرادوا الإصلاح في الأرض⁽²⁾.

فهذه الآية الكريمة تبين لنا حكمة الله عز وجل في سنة التدافع إذ لولا وجودها لسيطر أهل الباطل على الأرض وفسدت الأرض، ولكن من رحمته عز وجل أن أذن للناس بالتدافع.

(1) سورة البقرة: 251.

(2) رضا: المنار، 2/491.

2- وقوله تعالى: ﴿أَذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صُلُوكُهُمْ وَبَاعُوا صَوْغَهُمْ وَصَلَوَاتُهم وَمَسَاجِدُهم يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ⁽¹⁾.

إن أماكن العبادة كلها معرضة للهدم، على قداستها وتخصيصها لعبادة الله لا يشفع لها في نظر الباطل أن اسم الله يذكر فيها، ولا يحميها إلا دفع الناس بعضهم ببعض. أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرمتها، ويعتدون على أهلها، فالباطل متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول ولا يكفي الحق أنه الحق ليقف عدوان الباطل عليه، بل لا بد من القوة التي تحميه وتدافع عنه، وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان⁽²⁾.

وتدل سنة التدافع على أن هذه السنة من نعم الله تعالى وفضله على عباده، مع أن في ثناياها القتل والموت، وهذا يؤكد قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾⁽³⁾.

كما تدل على إظهار الحكمة من هذه السنة وهي إظهار الحق والصلاح في الأرض وإبعاد الباطل والفساد، فهذا هو المقصد الأعظم للحياة.

(1) سورة الحج: 39-40.

(2) قطب: في ظلال القرآن، 4/2425.

(3) سورة البقرة: 216.

وفي هذه السنة حث الأمة على الأخذ بأسباب القوة في كل زمان وكان تحقيقاً لسنة التدافع.

ثانياً: مفهوم التدافع في السنة النبوية

الأحاديث النبوية في هذا الشأن كثيرة فمن ذلك على سبيل المثال:-

1- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " قال ﷺ : من مات ولم يغز ، ولم يحدث به نفسه مات ، على شعبه من نفاق " (1) .

2- وقال ﷺ : " من لقي الله بغير أثر جهاد لقي الله وفيه ثلمه " (2) .

فهذه الأحاديث وغيرها الكثير تدل على أن التدافع سنة من سنن الله تعالى في المجتمع وهذه السنة قائمة بين الحق والباطل وبين الخير والشر، المؤمنين والكافرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الثالث: الحكمة من سنة الله في التدافع

القرآن الكريم يقرر أن ساحة الاجتماع متميز بالتدافع الذي لا بقاء فيه للضعيف ليحيا حياة إنسانية كريمة، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بما ركب طبيعتهم من الاختلاف والتفاوت الظاهر في الأهداف والغايات، ولولا ذلك لغلب أهل الباطل وصارت الحياة لا تطاق وفسدت الأرض (3).

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، حديث رقم (1910)، ص500.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه ، كتاب فضل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرباط، حديث رقم (1666)، 189/4، وقال أبو عيسى هذا حديث غريب.

(3) سمك، عبد الله علي، قياسات من السنن الإلهية، ط1، 1422هـ - 2001م، ص108.

وتمنع سنة التدافع من سيطرة الطغيان والباطل على الحياة الإنسانية، فلولا هذه السنة

لانتشر الفساد في الأرض⁽¹⁾.

وهذه السنة تهدف إلى امتحان الناس وابتلائهم أيصبرون ويثبتون على الحق والإيمان

بالله تعالى؟ أم يميلون إلى أهل الباطل والكفرة والملحدين؟ فهي سنة للثبات على الطاعة والبعد

عن المعصية.

(1) أنظر: رضا: المنازل، 491/2.

المبحث الثاني

مجالات التدافع

تتجلى صور التدافع ومستوياته بين الناس في ثلاثة مجالات رئيسية هي:-

المطلب الأول: تدافع على مستوى الفرد والنفس.

ينشأ بسبب هذا التدافع صراع داخلي في النفس بين نوازع الخير التي يباركها الله تعالى ونوازع الشر التي يولدها الشيطان، وقد عبر القرآن عن هذا الصراع بأساليب مختلفة وعرضه بصور متعددة⁽¹⁾. ومنها قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا

وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾⁽²⁾.

ويكون تدافع النفس - أيضاً - عن النزاعات والشهوات المادية لتزكيتها والعمل على استقامتها.

ويحذر عز وجل من متابعة هوى النفس ويدعو إلى العمل على مدافعتها ومحاربتها قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾⁽³⁾. وهذه هي النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل الشر.

(1) العولمة والعالمية في ضوء سنن الله الكونية، www.arriyadh.com

(2) سورة الشمس: 8-10

(3) سورة النازعات: 40-41.

المطلب الثاني: التدافع في ظل المجتمع الواحد

فالتدافع كما يكون تدافعاً داخلياً بين الفرد ونفسه، كذلك يكون بين فرد وآخر، وبين فرد ومجموعة؛ كما هو الحال بتدافع الرسول ﷺ مع قرش، وثباته أمام الإغراءات التي قدمتها له عليه السلام حينما أرسلت عمه أبو طالب، راداً عليه السلام بقوله: "والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته" (1).

وهذا المستوى تابع للمستوى الأول، وبه ينشأ صراع بين الناس، ولو كانوا تحت مظلة الإيمان، ولذلك ينظمه الشرع ببيان الحقوق ووضع الحدود، ويضع القرآن مبادئ مختلفة حلاً لهذا المستوى من التدافع، بوضعه مبدأ الشورى ومبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولكن أجمع هذه المبادئ هو مبدأ تحقيق العدل، ومن أهم صورته: العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة، والتوازن بين الحقوق والواجبات، ودفع المظالم والطغيان (2).

يقول ابن مسكوية "إن العدالة موجودة في ثلاثة مواضع: أحدها قسمة الأموال والكرامات، والثاني قسمة المعاملات الإدارية، كالبيع والشراء، والمعاوضات، والثالث قسمة الأشياء التي وقع فيها ظلم وتعد" (3) قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (4).

(1) ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، بيروت، دار الجيل، ط1، 1411هـ، 101/2.

(2) العولمة والعالمية في ضوء سنن الله الكونية www.arriyadh.com

(3) ابن مسكوية، أحمد بن محمد بن يعقوب، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، بيروت - لبنان، منشورات دار

مكتبة الحياة، ط1، ص109.

(4) سورة النحل: 90.

المطلب الثالث: التدافع الحضاري بين الأمم والشعوب.

من خلال النصوص السابقة في (القرآن والسنة) ندرك أن التدافع بين الحق والباطل وبين الحضارات المختلفة سنة ربانية، وهذا ما أصبح يشار إليه في أيامنا بـ: "صدام الحضارات" و"صراع الحضارات".

"لقد مر على تاريخ البشرية من القوى المؤمنة التي أقامت حضارات ربانية حكمت بالعدل، وأقامت منارات التوحيد كما حدث في عهد داود وسليمان - عليهما السلام - وما حققه ذو القرنين في مشارق الأرض ومغاربها، ومع ذلك لم تنفرد بحكم الأرض بمفردها لتعمل ما تشاء؛ بل وجد من يعاديه ويحاربها.

وكذلك استبدت قوى طاغية في الأرض، وفرضت هيمنتها على أجزاء كثيرة من الأرض، كما فعل النمرود، وفرعون، وعاد، وشمود، ولكن قوى الخير قاومتهم وأقصت مضاجعهم إلى أن زالت من الوجود. واليوم تسعى دول الغرب مجتمعه إلى بسط نفوذها وهيمنتها على العالم"⁽¹⁾.

يقول ابن خلدون رحمه الله في المقدمة: "إعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تنزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها أهل عصبية فإذا تذاثروا لذلك وتوافقت الطائفتان أحدهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع كانت الحرب هي أمر طبعي في البشر لا تخلو منه أمه ولا جيل، وسبب هذا الانتقام في الأكثر أما غيرة ومنافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ولدينه، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده"⁽²⁾

(1) مسلم وآخرون، مصطفى، الثقافة الإسلامية تعريفها ومصادرها، عمان - الأردن، دار إثراء للنشر والتوزيع،

ط/1، 2007م، ص 298.

(2) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، بيروت - لبنان، دار نوبليس، ط/1، 2005م، 485/4.

والتدافع بين الحق والباطل أمر لا بدّ منه وحتمي لأنهما ضدان، والضدان لا يجتمعان، ولأن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر وطرده ودفعه وإزالته، أو في الأقل إضعافه ومنعه من أن يكون له تأثير في واقع الحياة، فلا يتصور إذن أن يعيش الحق والباطل في سلم من دون غلبة أحدهما على الآخر إلا لعلّة كضعف أصحابهما أو جهلهم بمعاني الحق والباطل ومقتضيات ولوازم هذه المعاني أو ضعف تأثير هذه المعاني فيه⁽¹⁾

فالتدافع الحضاري هو تنافس وتسابق بين الحضارات يعدل المواقف الظالمة والممارسات الجائرة، والعلاقات المنحرفة، دون صراع يصرع الأطراف الأخرى، وإنما بالحراك والتسابق الذي يعيد العلاقات المختلفة إلى درجة التوازن والعدل في العلاقات بين مختلف الفرقاء⁽²⁾.

فالأصل في التدافع أن يكون بالحسنى، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾⁽³⁾ وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) زيدان: السنن الإلهية، ص46.

(2) عمارة، محمد، الحضارات العالمية تدافع.. أم صراع، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م، ص18.

(3) سورة فصلت: 34.

(4) سورة المؤمنون: 96.

المبحث الثالث

أشكال التدافع بين الحق والباطل، وأغراضه، ومعوقاته

المطلب الأول: أشكال التدافع

يتخذ التدافع الحضاري بين الحق والباطل شكلين هما:

أولاً: الحوار

يعد الحوار أسلوباً تربوياً للتدافع ما بين الحق والباطل وبين المسلم والكافر و بين الخير

والشر.

ويعرّف الحوار لغة:

جاء في معاجم اللغة العربية أن الحوار مأخوذ من الفعل (حَوَّرَ) والحوار الرجوع عن

الشيء وإلى الشيء و حار إلى الشيء وعنه حوراً ومحاراً ومحارة وحووراً: رجع عنه وإليه⁽¹⁾

وتحاوروا: أي تراجعوا الكلام فيما بينهم، والحوار حديث يجري بين شخصين أو أكثر بهدف

الوصول إلى الحقيقة⁽²⁾.

اصطلاحاً:

يعرف الحوار بأنه " وسيلة تستخدم الإقناع الذاتي، لتمحيص الأفكار والمعلومات، عن

طريق غير مباشر وللتأكد من صحتها أو خطئها، فالحوار إذن طريقة تقوم على المناقشة المتبادلة

(1) ابن منظور: لسان العرب، 4/217-218.

(2) مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، 1/204.

بين طرفين وتتخللها أسئلة وإجاباتها⁽¹⁾.

ويعرّف كذلك بأنه: " تبادل للأفكار بين طرفين بصورة منظمة وموضوعية على أساس

الاحترام المتبادل بينهما "⁽²⁾.

إنّ الحوار وسيلة للنقاش والتفاهم ما بين الأطراف المتحدثة للوصول إلى الحقيقة.

وللحوار أنواع نوعان هما: ⁽³⁾

أ- **الحوار المحمود:** وهو الحوار الذي توافرت فيه شروط الحوار وآدابه ويلتزم أطرافه بهذه الآداب ويكون القصد منه التوصل إلى النتائج.

ب- **الحوار المذموم:** وهو الحوار الذي لم تتوافر فيه شروط الحوار وآدابه ولم يلتزم أفرادها بآداب التحوار، وهذا النوع يضم ألواناً عدة من ألوان الحوارات المذمومة منها:
حوار الطريق المسدود والحوار الإلغائي (التسفيهي)، والحوار السلبي التعجيزي، والحوار السلطوي، والحوار المبطن.

آداب الحوار:

إنّ التدافع بين المؤمن والكافر يحتاج إلى محاوراة ونقاش والمتحاور لا بد وأن يتحلّى بآداب جمّة فعلية أن يلتزم بهذه الآداب فمنها:

1- التجرد من الهوى وحفظ النفس.

(1) الهاشمي، عبد الحميد، **الرسول العربي المربي**، دار الثقافة للجميع، ط 1/، 1401هـ - 1981م، ص 451.

(2) الخوالدة وآخرون، ناصر، **طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها التربوية**، الكويت، مكتبة الفلاح، ط/1424هـ، 2003م ص 365.

(3) أنظر: الجبوسي، عبد الله، **أسلوب الحوار في القرآن الكريم**، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الأول، 1427هـ - 2006م، ص 112، بتصرف.

2- تجنب إطلاق الأحكام الجاهزة، فانعدام روح الحوار هو الذي أدى إلى خيار القتل في حوار ابني آدم عليه السلام.

3- أن يكون الحوار قائماً على الصدق وتحري الحقيقة بعيداً عن الكذب والفسطة والأوهام⁽¹⁾.

4- التواضع أثناء الحوار وتجنب الغرور والتزام الأسلوب المذهب .

ثانياً: الجهاد.

قد يصل الأمر في التدافع إلى استعمال القوة سواء كانت المادية منها أو المعنوية لوصول الحق إلى الآخر.

مفهوم الجهاد لغةً

كلمة الجهاد مأخوذة من الفعل (جهد)، وجاهد العدو مجاهدةً وجهاداً، والجهاد محاربة الأعداء، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل⁽²⁾.

مفهوم الجهاد اصطلاحاً:

يعرّف الجهاد اصطلاحاً بأنه " بذل الوسع والطاقة في قتال الكفار ومدافعتهم بالنفس والمال واللسان"⁽³⁾.

كما عرّف أيضاً بأنه: " بذل الجُهد في إرشاد الكفار إلى الحق بالقول أو الفعل، وفي

(1) طنطاوي: محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص16.

(2) ابن منظور، لسان العرب، 3/ 135.

(3) الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، دار الفكر، 1984، 414/6.

حمل النفس على التزام أحكام الدين ونشرها والدعوة إليها⁽¹⁾

يتضح مما سبق أن الجهاد هو بذل الوسع والطاقة في قتال المشركين، إما بالنفس أو بالمال أو باللسان.

آداب الجهاد

الجهاد في سبيل الله عبادة وطاعة، بل هو أحب أنواع الطاعات وأرفعها درجة عند الله، ومن هنا ينبغي أن يكون له آداب وشروط وفضائل تعين عليه، وتحقيق النصر؛ كإخلاص النية لله، وتقوى الله تعالى، والصبر، والعدل؛ وذلك من خلال عدم مجاوزة الحد في قتال الأعداء⁽²⁾.

المطلب الثاني: أغراض التدافع

كل عمل يقوم به المسلم في حياته ينبغي أن يكون هدفه إرضاء الله وطاعته، وهذا يصدق على التدافع، وأغراض التدافع هي:

أولاً: نشر الدين وحمايته⁽³⁾

ومعنى نشر الدين وحمايته تأمين حرية الدين والاعتقاد للناس فإذا منعت الدعوة من الانتشار، أو منع من يريد الدخول في الإسلام من اعتناقه فإن ذلك يعد موجباً للجهاد، لقوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ اسْتَهْوُوا فَلَا عُذْرَ أَنْ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾⁽⁴⁾.

(1) علي، محمود محمد، الجهاد في التشريع الإسلامي، دار الاتحاد العربي، للطباعة، 1977م، ص19.

(2) مومني، ماجد أحمد، الجهاد، مجلة منار الإسلام، عدد 5، مجلد 22، 1996م، ص15.

(3) السرطاوي وآخرون: نظام الإسلام، ص313.

(4) سورة البقرة: 193.

ثانياً: إقامة حكم الله في الأرض

ومعنى إقامة حكم الله في الأرض أن تسود أحكامه ويصبح التشريع السائد للمسلم وغير المسلم، وهذا حق الله الذي هو حق للإنسانية قاطبة تخلصاً من تأله البشر، وذلك لتكون الحاكمية لله وحده، قال تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁽¹⁾.

وهذا لا يعني إخضاع الناس لحكم الله وإكراههم على اعتناق الإسلام والدخول فيه، بل ذلك متروك لقناعة الإنسان واختياره، وإنما الهدف من إخضاعهم هو الإخضاع لأحكام الإسلام النافذة في شؤونهم الحياتية وتصرفاتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية⁽²⁾.

ثالثاً: الدفاع عن المظلومين والمستضعفين الذين يعيشون تحت سلطة دولة كافرة، فإذا ما تعرضوا لفتنة أو اضطهاد وجب على المسلمين نجدهم وإنقاذهم، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن دُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن دُنْكَ نَصِيرًا﴾⁽³⁾.

هذه هي أهم أغراض التدافع التي تهدف إلى الدفاع عن الإسلام والمسلمين وحمايتهم، وحماية الدولة المسلمة، وتطبيق شرع الله في الأرض.

(1) سورة المائدة: 50.

(2) السرطاوي وآخرون: نظام الإسلام، ص 313.

(3) سورة النساء: 75.

المطلب الثالث: معوقات التدافع

هنالك معوقات تحول دون دفع الباطل ودحضه وتحقيق النصر، ومن هذه المعوقات ما

يأتي:

1. الفرقة والنزاع والخلاف بين صفوف المسلمين، وهذه الفرقة من أشد الآفات التي تقف

عائقاً أمام نصرته الحق على الباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ﴾⁽¹⁾، وهذا - غالباً - يكون عند تعدد القيادة.

2. العجب بالنفس والغرور، سواء بما أعطى الله العبد من القدرات والمواهب، أو بما أنعم

عليه من النعم، ويتبع ذلك ازدياد الناس واحتقارهم وغمط حقوقهم وانتقاص مشاريعهم،

كل هذا من حواجز الانتصار، وموانع الوصول إلى النتائج الإيجابية في نصرته الحق⁽²⁾.

3. البعد عن طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله الكريم ﷺ؛ فطاعة الله تعالى ورسوله الكريم من

أهم أسباب نصرته الحق على الباطل، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾⁽³⁾.

4. عدم الإخلاص لله تعالى في قول الحق؛ كقصد الرياء والسمعة والشهرة، أو طلب عارضاً

من عوارض الدنيا، مما يعيق تحقيق النصر على الباطل⁽⁴⁾، قال ﷺ: " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ

بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِءٍ مَا نَوَى "⁽⁵⁾.

(1) سورة الأنفال: 46.

(2) من سنن الله تعالى التدافع [www. Alssunnah\ com](http://www.Alssunnah.com) تاريخ الدخول 2009/2/6م.

(3) سورة الأنفال: 46.

(4) من سنن الله تعالى التدافع www. Alssunnah\ com تاريخ الدخول 2009/2/6م.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه

وسلم، حديث رقم (1)، ص 11.

5. وسوسة الشيطان لضعاف الإيمان بالله تعالى البعد عن قول الحق والعمل به، و زهق

الباطل ودفعه، وهذا ما ورد في كتاب الله تعالى في مواضع عديدة، منها قوله سبحانه

وتعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ

أَصْحَابِ السَّعِيرِ⁽¹⁾.

(1) سورة فاطر: 6.

المبحث الرابع

الدلالات التربوية المستنبطة من سنة التدافع

المطلب الأول: الآثار التربوية المستنبطة من سنة التدافع:

- لسنة التدافع آثارٌ كثيرة يعود بعضها على الفرد و يعود بعضها الآخر على المجتمع فمنها:
 - يقود التدافع إلى تحريك الحياة نحو الأحسن، وتخطي مواقع الركون والسكون والفساد ومنح القدرة للقوى الإنسانية الخيرة كي تشد عزائمها، وتصل قدراتها المقاومة الصاعدة في غمرة التحديات المتعاقبة التي يطرحها الصراع، وأن تسعى لتحقيق المجتمع المؤمن الذي ينفذ أمر الله في العالم وفق القاعدة الإيمانية العريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر⁽¹⁾
 - تعمل على إحداث التغيير المؤدي إلى النهضة الصحيحة من حيث كونها قوة دافعة توظف كل الطاقات الكامنة في الأمة وتهيئها لحشد كل قواها لتؤدي دورها في مصارعة الباطل، والتغلب على عوامل التخلف والضعف والانحطاط⁽²⁾.
 - بالتدافع يحصل التنافس والتسابق ولولا التدافع لتقاعس الإنسان عن السعي لتحقيق وظيفة التعمير في الوجود، ولتوقفت عجلة الحركة الحضارية⁽³⁾.
 - تعمل سنة التدافع على إحداث التوازن سواء عند الفرد أو المجتمع بأن لا يطغى بعض العباد على الآخرين فيقع الفساد في المجتمع.
 - تجعل المسلم إنساناً متماسكاً قوي العزيمة والإرادة معطاء في كل ميدان من ميادين الحياة.

(1) خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط/2، 1978م، ص242.

(2) العولمة والعالمية في ضوء سنن الله الكونية، www.arriyadh.com.

(3) سمارة : السنن الإلهية، ص 216.

• تمنع هذه السنة من انتشار الفساد في الأرض؛ إذ لولا سنة التدافع لهدمت أماكن العبادة والمساجد، والاعتداء على أماكن العبادة والمساجد هو اعتداء على الحريات الفردية والجماعية المقدسة في أعلى درجات القدسية.

والذي يمنع من ذلك الفساد العريض، ومن تلك الاستباحة هو سنة المدافعة، فلم يزل الله تعالى يدفع أهل الشر والفساد بأهل الخير والصلاح، ويدفع بعض الظالمين ببعضهم، وبهذا تحافظ المجتمعات على حيويتها ونمائها، فالحياة تصبح أسنة متعفنة لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض⁽¹⁾.

المطلب الثاني: دور مؤسسات التربية في التعامل مع سنة التدافع

أولاً: دور الأسرة في التعامل مع سنة التدافع

الأسرة هي المؤسسة التربوية الأولى التي تحتضن الطفل، ويتلقى فيها تعاليم الحياة ومبادئها، كما أنها تعمل على تشكيل شخصيته، ويكتسب من خلالها الأخلاق والسلوك الحسن. والأسرة هي: "الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكتسب فيها الكثير من معارفه، وميوله، وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه"⁽²⁾.

فالأسرة لبنة أساسية من لبنات المجتمع؛ بل هي حجر الزاوية في البناء الاجتماعي باعتبارها نقطة الارتكاز التي تركز عليها المؤسسات الاجتماعية الأخرى. ومن هنا فقد أولاهما

(1) الصلاحي: أمين نعمان، من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، سلسلة كتاب الأمة، قطر، عدد 127، السنة الثانية والعشرون، 1429هـ، ص 81.

(2) الشيباني، عمر التومي، من أسس التربية الإسلامية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط 1، 1399 هـ - 1979 م، ص 497.

الإسلام عنايته واهتمامه ، فقال ﷺ : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "(1).

فالأُسرة لها دور كبير ومؤثر في المجتمع ، إذ إنها تعمل على تشكيل الطفل وتكوين شخصيته ، وتحديد مسارات سلوكه ، وتنمية قيمه وعاداته ، وذلك من خلال ما توفره له من مناخ، وما تحيط به من مؤثرات خارجية(2).

فمن شأن وعي الأسرة بسنة التدافع أن ينعكس على أنماط التربية فيها، ومن ذلك:

تربية الأبناء على المحافظة على المقدسات الدينية، إذ انتهاك حرمان المقدسات هو في سنة الله ذروة الفساد والإفساد، وقمة الطغيان، ودفع هذا الظلم بقوة الحرب القاهرة، وهو أرفع صور الإصلاح والعدل(3).

وتربيتهم على إخلاص النية وحسن القصد وإنهما أساس في كل عمل يقوم به المسلم والعمل بدون إخلاص يعد ضرباً من الشرك بالله.

وتتشتتهم على احترام الآخرين وحقوقهم، والأدب معهم أثناء الحوار والتدافع . وحثهم

على ضرورة الثقة بالنفس، وإبراز الشعائر، والاعتزاز بها لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين ، رقم 1385 ، ص 290.

(1) مقبل، فهمي توفيق، العمل التطوعي ودوره العلاجي داخل المؤسسات الإصلاحية في المجتمع العربي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة ، ص 10 .

(3) عرجون: سنة الله في المجتمع من خلال القرآن، ص69.

دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»⁽¹⁾ وعدم الخوف مما يعتنقون من مبادئ وأفكار

وضرورة إبراز ما يعتقدون على الناس ودعوتهم إليها بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتربيتهم على مقاومة أشكال الفساد وصوره في البيت والمدرسة والمجتمع، لأن تطهير الأرض من الفساد والمفسدين هي الهدف الأسمى لسنة التدافع.

ثانياً: دور المدرسة في التعامل مع سنة التدافع

إن التربية الإسلامية لا تقف من الأفكار والاتجاهات موقف المناهض، وإنما موقف الند المتفاعل، ولكن حين تسعى بعض تلك الأفكار والاتجاهات الغربية - مثلاً - إلى الهيمنة ومحاولة بسط النفوذ على ما عداها من النظريات والأفكار والاتجاهات الأخرى - حينئذ ينتقل موقف التربية الإسلامية من وضعية الإقرار والتعايش مع الآخر إلى موقف المنازع حول الأحقية والمشروعية وسمّة العالمية. وهذا ما يفترض أن يكون انعكاسه واضحاً مباشراً عبر الفلسفة التربوية الموجهة للنظام التربوي بكل عناصره في المجتمع المسلم⁽²⁾.

لذا فإن دور المدرسة في سنة التدافع يتضح من خلال ما يأتي:

المعلم

تنمية مهارة الإصغاء للمعلم ومتابعته ولا يقطع عليه حديثه ولا يسابقه ولا يحاوره، بل يتمهل ويصبر لينتهي كلامه، ثم يناقش ويحاور.

(1) سورة فصلت: 33.

(2) الدغشي: نظرية المعرفة في القرآن وتضميناتها التربوية، ص 188.

وأن ينويع المعلم الأساليب لتحفيز المتعلمين على التنافس المشروع الفردي والجماعي للوصول إلى المراتب العليا.

وتنظيم المسابقات التي تدور حول مواضيع دينية وثقافية؛ لإثراء التنافس المشروع بين التلاميذ.

المتعلم

أن يتزود التلميذ بقدر من الثقافة الإسلامية التي تمكنه من الرد على أعداء الدين، ودحض افتراءاتهم، وتدريبه على مهارات التواصل والحوار والجدل والتي هي أحسن.

المنهاج

ضرورة التخطيط للعملية التربوية فيجب أن تشمل المناهج التعليمية والتربوية قواعد وضوابط من شأنها تحصين وحماية التلاميذ من أن يعطوا معلومات تشوش عليهم أفكارهم وتشنت أذهانهم.

ثالثاً: دور المسجد في التعامل مع سنة التدافع

حث المسلمين على عمارة الأرض؛ إذ أن الله تعالى سخر ما في هذا الكون لخدمة الإنسان، من أجل عمارة الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁽¹⁾.

(1) سورة البقرة: 30

وعلى الأئمة والوعاظ أن يستخدموا أسلوب الحوار والمناقشة أثناء دعوتهم للناس؛ لأن

هذا الأسلوب يستقطب المدعويين لما يدعون إليه، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽¹⁾.

وأن يحثوا المسلمين على الجهاد في كل مكان وزمان، وعدم الركون إلى الدعة والراحة،

والأخذ بأسباب النصر المادية منها والمعنوية، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

قُوَّةٍ وَمِنْ مِرْبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ

اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾⁽²⁾.

رابعاً: دور وسائل الإعلام في التعامل مع سنة التدافع

توعية المسلمين بأهمية الجهاد، ورفع الروح المعنوية في صفوف المجاهدين، وكشف

المخططات و المؤامرات، والإسهام في التعبئة العامة، والإعداد الشامل من الناحية الفكرية

والمعنوية والروح القتالية...⁽³⁾.

وعلى الإعلام أن يحث المؤمنين على الدفاع عن حقوقهم الإنسانية، وحياتهم

وكرامتهم⁽⁴⁾، تحقيقاً لقول الرسول ﷺ: "من قتل دون ماله فهو شهيد"⁽⁵⁾، وتوظيف الإعلام لخدمة

قضايا الأمة.

(1) سورة ص: 125.

(2) سورة الأنفال: 160.

(3) www. Islam web. net

(4) إمام، إبراهيم، أصول الإعلام الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1985م، ص 33.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب من قتل دون ماله، حديث رقم (2480) ص 515.

وحت الأمة الإسلامية على القيام بواجبها تجاه الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

وخلاصة القول: إن سنة التدافع هي: صراع بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الإيمان والكفر على البقاء، ولها ثلاثة مجالات؛ تدافع على مستوى النفس، وتدافع على مستوى المجتمع الواحد، وتدافع حضاري بين الأمم والشعوب.

وللتدافع بين الحق والباطل شكلين، هما: الحوار، والجهاد. وكذلك للتدافع أغراض، هي: نشر الدين وحمایته، وإقامة حكم الله في الأرض، والدفاع عن المظلومين والمستضعفين في الأرض.

وللتدافع معوقات تحول دون تحقيق النصر؛ كالبعد عن طاعة الله تعالى، والفرقة والنزاع بين صفوف المسلمين، وعدم إخلاص النية لله تعالى في التدافع، وتعدد القيادات....
إن لمؤسسات التربية الدور الفعّال في التعامل مع سنة التدافع؛ كالأُسرة، والمدرسة، والمسجد، ووسائل الإعلام.

الخاتمة

- النتائج

- التوصيات

النتائج

بعد هذه الدراسة المتأنية للسنن الاجتماعية، وذلك من خلال نصوص القرآن الكريم،

والسنة النبوية استطاعت الباحثة أن تتوصل إلى النتائج الآتية:

- إذا أرادت الأمة الإسلامية العودة إلى عزتها ونهضتها يجب عليها العودة إلى جذور الإسلام الأصيلة (القرآن الكريم والسنة النبوية) والتمسك بها، والعودة إلى سننه المبنوثة في الآفاق والأنفس.

- إن الله تعالى لا يغير من حال المجتمع وواقعه حتى يبدأ أفراد بتغيير ما بداخلهم من مفاهيم وأفكار مخالفة للشريعة الإسلامية، ويصلحوا أحوالهم، وأوضاعهم؛ فيغير الله تعالى آنذاك ما بهم ويأخذ بأيديهم إلى بر الأمان.

- إن الأمم تخضع في حياتها وموتها، ونهضتها، وسقوطها إلى سنن إلهية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل تعمل على تنظيم مسيرتها، وتضبط حركتها، ومن هذه السنن؛ سنة الابتلاء، وسنة التغيير، وسنة التدافع.

- إن للسنن الاجتماعية أثراً تربوياً هامة تعود على الفرد والمجتمع، ونحتاج إلى استحضارها لاصلاح واقعنا التربوي والاجتماعي، من خلال تفعيل دور المؤسسات التربوية من أسرة ومدرسة ومسجد وجامعة وغيرها.

التوصيات

في ظل ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فإنه يمكن تقديم التوصيات الآتية:

- على الأمة الإسلامية العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية لتطبيق السنن الإلهية الماثلة في الآفاق والأنفس.
- على الأفراد أن يغيروا ما بداخلهم من مفاهيم وأفكار سلبية، ونظرة خاطئة للكون والإنسان والحياة؛ لينجوا من عذاب الله تعالى في الدارين.
- ضرورة القيام بمزيد من الدراسات للكشف عن سنن الله تعالى، ومعرفة أنواعها، ومجالاتها، وخصائصها.
- توجيه الآباء والمربين ومؤسسات التعليم والإعلام بضرورة تفعيل دور السنن الاجتماعية.
- توصي المشرفين على المناهج التربوية، والمقررات المدرسية بأن يضمنوا السنن الاجتماعية في المقررات المدرسية.

الإمام الرازي

- فهرس المصادر والمراجع

- فهرس الآيات

- فهرس الأحاديث

فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم، محمد إسماعيل، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، القاهرة، دار الفكر العربي، (د-ت) (د-ن).
- الإبراهيم، موسى إبراهيم، حوار الحضارات وطبيعة الصراع بين الحق والباطل، عمان، دار الإعلام، ط/1 1423هـ - 2003.
- الأزهرى، أبو المنصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د-ت)، (د-ط).
- الأسمر، أحمد رجب، فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط/1، 1417هـ - 1997م.
- الأشول، عادل عز الدين، علم النفس الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1979م، (د-ط).
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، 1425هـ - 2004م، (د-ط).
- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن أبي داود، بيروت، المكتب الإسلامي، ط/1، 1409هـ - 1989م.
- إمام، إبراهيم، أصول الإعلام الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، 1985م، (د-ط).
- باظاهر، ابن عيسى، فاعلية المسلم المعاصر رؤية في الواقع والطموح، عمان - الأردن، دار البيارق، ط/1، 1417هـ - 1997م.

- باقر، أحمد يعقوب، عذاب الدنيا، الكويت، مكتبة الصحو الإسلامية، (د- ط)، (د- ت).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسنته وأيامه، بيروت- لبنان، دار الأرقم بن أبي الأرقم، (د- ت).
- البستاني، بطرس، محيط المحيط، بيروت، مكتبة لبنان، 1987م، (د- ط).
- البغا، مصطفى ديب، أصول الفقه الإسلامي دراسة عامة، دمشق، دار المصطفى، ط1، 1425هـ - 2004م.
- بكار، عبد الكريم، تجديد الوعي، دمشق، دار القلم، ط1، 1427هـ - 2000م.
- البوطي وسعيد، محمد سعيد رمضان وجودت، التغيير مفهومه وطرائقه، دار الفكر، (د- ط)، (د- ت).
- البوطي، محمد سعيد، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر، 1402هـ، (د- ط).
- الإنسان وعدالة الله في الأرض، دمشق- سوريا، مكتبة الفارابي، ط2، 1392هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة، سنن الترمذي، مصطفى الحلبي، ط2، 1978م.
- ابن تيمية، أحمد، التفسير الموضوعي، دار الاعتصام، (د- ط)، (د- ت).
- مجموع فتاوى ابن تيمية، الرياض، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، 1412هـ - 1991م، (د- ط).
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، العبودية، دار البشير، 1992م، (د- ط).

- جاب الله، محمد عبد المقصود، أحكام العبادات، ط/1، 1406هـ - 1986م، (د-ن).
- جادو، عبد العزيز، الطريق إلى علم النور والحق في ضوء علم النفس الحديث، الاسكندرية - مصر، المكتب الجامعي الحديث، 2000م، (د-ط).
- جاسم: بكار الحاج، (1999م)، السنن الكونية في الطبيعة والمجتمع في ضوء القرآن الكريم، رسالة ماجستير، 1999م.
- الجبرين، عبد الله بن عبد الرحمن، حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار الوطن، ط/1، 1419هـ - 1998م.
- جزولي، احزمي سامعون، الحياة في القرآن الكريم، الرياض، دار طويق للنشر والتوزيع، ط/1، 1418هـ - 1997م.
- الجليل، عبد العزيز، وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، الرياض، دار طيبة، ط/4، 2003م.
- جماز، علي محمد، مسند الشاميين من مسند الإمام أحمد بن حنبل، مطابع الدولة الحديثة، قطر، ط/1، 1403هـ - 1982م.
- الجبوسي، عبد الله، أسلوب الحوار في القرآن الكريم، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، العدد الأول، 1427هـ - 2006م.
- ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت- لبنان، 1416هـ - 1996م، (د-ط).

- الحديثي، نزار عبد اللطيف، الأمة والدولة في سياسة النبي صلى الله عليه وسلم والراشدين، بغداد- العراق، دار الحرية للطباعة، ط/1، 1987م.
- أبو الحسن: صديق عبد العظيم، مفهوم سنن الله الاجتماعية في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد الحادي والثلاثون، السنة الثانية، 1417هـ — 1997م.
- حماد، محمود أحمد، المجتمع الإسلامي كيف يبعث من جديد، القاهرة دار التضامن، ط/1، 1403هـ - 1983م.
- الحمد، أحمد، حمل الدعوة الإسلامية، عمان- الأردن، دار الإسرائ، 1998م، (د- ط).
- ابن حنبل: أحمد أبو عبد الله، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (د- ط)، (د- ت).
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، تفسير الخازن، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، 1995م، (د- ط).
- الخطيب ، شريف: السنن الالهية في الحياة الإنسانية وأثر الإيمان بها، رسالة دكتوراة منشورة، عمان، الدار العثمانية، ط/ 1، 2004م .
- الخطيب الشربيني، محمد بن أحمد، السراج المنير، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1425هـ -2004م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، بيروت- لبنان، دار نوبليس، ط/1، 2005م.

- خليفة، محروس محمود، ممارسة الخدمة الاجتماعية دراسات في التغيير المخطط، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1992م، (د- ط).
- خليل، عماد الدين، التفسير الإسلامي للتاريخ، بيروت، دار العلم للملايين، ط/2، 1978م.
- الخوالدة وآخرون، ناصر، طرائق تدريس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها التربوية، الكويت، مكتبة الفلاح، ط/1424هـ ، 2003م.
- أبو داوود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داوود، دار الفكر، (د- ط)، (د- ت).
- درويش وآخرون: كمال، اتجاهات حديثة في الترويح وأوقات الفراغ، دار الفكر، القاهرة، 1204هـ، 1982م، (د- ط).
- الدغشي، أحمد محمد حسين، نظرية المعرفة في القرآن وتضمناتها التربوية، دمشق، دار الفكر، ط/1، 2002م.
- الدمشقي الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1419هـ - 1998م.
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الحديث، (د- ت)، (د- ط).
- الرازي، فخر، التفسير الكبير، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، ط/1، 1425هـ - 1995م.
- رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، بيروت- لبنان، دار المعرفة، ط/2.

- الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، بيروت_لبنان، دار الفكر المعاصر، ط/1، 1411هـ —
- 1991م.
- الفقه الإسلامي وأدلته، دمشق، دار الفكر، 1984، (د- ط).
- زيدان، عبد الكريم، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط/3 1994م.
- سابق، السيد، عناصر القوة في الإسلام، بيروت _ لبنان، دار الكتاب العربي، ط/3، 1393هـ ، 1973م.
- السامرائي، فاروق عبد المجيد، مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جدة- المملكة العربية السعودية، مكتب دار الوفاء، 1407هـ ، (د- ط).
- السايح، أحمد عبد الرحيم، منهج الإسلام في تغيير المنكر، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، (د- ط)، (د- ت).
- السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، السعودية، دار الوراق، 1419هـ - 1998م، ط1.
- سعيد: عبد الجبار، السنن الإلهية في ضوء السنة النبوية، أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الانسانية والاجتماعية، إربد (2، 21)، 2005م.
- سعيد، جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط/7، 1414هـ —
- 1993م.
- السلمي، علي، الإدارة المعاصرة، القاهرة، دار غريب للطباعة، (د- ط)، (د- ت).

- سمارة: إحسان، السنن الإلهية ودورها في نهضة الأمم، جامعة جرش الأهلية، الأردن، 1424هـ - 2003م.
- سمك، عبد الله علي، قيسات من السنن الإلهية، ط/1، 1422هـ - 2001م.
- السيد، سميرة أحمد، علم اجتماع التربية، القاهرة، دار الفكر العربي، 1993م، (د- ط).
- شرفه، حسين، سنن الله في إحياء الأمم، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط/1، 1429هـ - 2008م، رسالة دكتوراه منشورة.
- الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، منشورات أخبار اليوم، (د- ط)، (د- ت).
- شهبان: راشد، مدخل إلى السنن الربانية، مؤتمر السنن الإلهية في الكتاب والسنة، جامعة الزرقاء الأهلية، الزرقاء- الأردن، 22-24 تموز، 2003م، نشر جامعة الزرقاء الأهلية، 2003م، الزرقاء- الأردن.
- الشوكاني، محمد بن علي، إرشاد الفحول، القاهرة، دار الكتب، (د- ت).
- فتح القدير، بيروت- لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1424هـ - 2003م.
- الشيباني، عمر التومي، من أسس التربية الإسلامية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1399 هـ - 1979 م.
- صالح، عبد الله ميرغني محمد، الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين، ط/1، 1408هـ - 1987م.
- الصاوي، صلاح، منهجية التعبير بين النظرية والتطبيق، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، (د- ط).

- الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، بيروت - لبنان، دار التعارف للمطبوعات، ط/2، 1402هـ - 1981م.
- أبو صعليك، محمد، فقه الإيتلاء، الأردن، دار البيارق، 1420هـ - 1999م، (د-ط).
- الصفار، حسن، العمل والفاعلية طريق التقدم، بيروت - لبنان، دار الكنوز الأدبية، ط/1، 2000م.
- الصلابي، علي محمد، فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم، بيروت - لبنان، دار المعرفة، ط/2، 1426هـ - 2005م.
- الصلاحي: أمين نعمان، من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع، سلسلة كتاب الأمة، قطر، عدد 127، السنة الثانية والعشرون، 1429هـ .
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن تقريب وتهذيب، دمشق، دار القلم، ط/1، 1418هـ - 1997م.
- طنطاوي: محمد سيد، أدب الحوار في الإسلام، نهضة مصر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، (د-ط).
- طهطاوي، سيد أحمد، القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، ط/1، 1416هـ - 1996م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984، (د-ط).

- عبد الحميد، محسن، حركة التغيير الاجتماعي في القرآن، بغداد، مطبعة الحوادث، 1979م، (د - ط).
- منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، بغداد، المكتبة الوطنية، 1986م، (د - ط).
- عبد العزيز، جمعة أمين، التغيير على منهاج النبوة "إرادة العمل"، الإسكندرية، دار الدعوة، ط/2، 1416هـ - 1996م.
- العبيدي، خالد فائق، القوانين القرآنية للحضارات، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1، 1426هـ - 2005م.
- عثمان، سيد أحمد، علم النفس الاجتماعي التربوي، مكتبة الانجلو المصرية، (د - ط)، (د - ت).
- عرجون، محمد الصادق، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن، الدار السعودية للنشر، ط/1، جدة، 1971م.
- عطار، ليلى عبد الرشيد، الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية، ط/1، 1983م.
- عطوي، فوزي، الاقتصاد والمال في التشريع الإسلامي والنظم الوضعية، بيروت - لبنان، دار الفكر، 1408هـ - 1988م.
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، ط/1، 1404هـ - 1984م.
- علي، محمود محمد، الجهاد في التشريع الإسلامي، دار الاتحاد العربي، للطباعة، 1977م، (د - ط).

- عمارة، محمد، الحضارات العالمية تدافع.. أم صراع، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998م.
- العمري، أكرم ضياء، الإسلام والوعي الحضاري، جدة- السعودية، دار المنارة، ط1، 1407هـ - 1987م.
- أبو العنين، علي مصطفى، القيم الإسلامية والتربية، المدينة المنورة، مكتبة إبراهيم الحلبي، ط/1408هـ - 1998م.
- العيسوي، عبد الرحمن، الإسلام والعلاج النفسي الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، (د - ط).
- أبو فارس، محمد عبد القادر، منهج الحركة الإسلامية في التغيير، عمان-الأردن، دار الفرقان، ط1، 1411هـ - 1991م.
- أبو الفتح الأبهشي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 1424هـ - 2003م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مكة المكرمة، دار الباز للنشر والتوزيع، (د - ط)، (د - ت).
- القرضاوي، يوسف، المبشرات بانتصار الإسلام، القاهرة، مكتبة وهبة، ط2، 1420هـ - 1999م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، عالم الكتب، الرياض، 1423هـ - 2003م.

- قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، بيروت، دار الشروق، 1400هـ - 1980م، (د-ط).
- في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشروق، ط17، 1412هـ - 1992م.
- ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار المعرفة، (د-ط)، (د-ت).
- مفتاح دار السعادة، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، (د-ت).
- مختصر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، الرياض، دار اليمامة، 1392هـ - 1972م.
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، بيروت، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط1، 1403هـ - 1983م.
- شفاء العليل، بيروت-لبنان، دار المعرفة، (د-ط).
- الفوائد، القاهرة، دار للريان التراث، ط1، 1407هـ - 1987م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، القاهرة، مكتبة الصفا، ط1، 1423هـ - 2002م.
- ابن كثير: أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د-ط)، (د-ت).
- كنعان، أحمد محمد، أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، بيروت - لبنان، دار النفائس، ط1، 1418هـ، 1997م.

- الكيلاني، ماجد عرسان، أصول التربية الإسلامية، دبي، دار القلم، ط/1، 1427هـ — 2006م.
- فلسفة التربية الإسلامية، عمان - الأردن، دار الفتح للدراسات والنشر، ط/1، 1430هـ - 2009م.
- أهداف التربية الإسلامية، بيروت - لبنان، مؤسسة الريان، 1419هـ - 1998م.
- هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، عمان - الأردن، دار الفرقان، ط/3، 1424هـ - 2003م.
- المباركفوري، أبو العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، دار الفكر للطباعة والنشر، ط/3، 1399هـ - 1979م.
- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مكة المكرمة، دار المستقبل، ط/1، 1426هـ - 2005م.
- المحاسبي، الحارث بن أسد، رسالة المسترشدين، تحقيق عبد الفتاح أبو غده، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط/3، 1394هـ - 1974م.
- محمد بن عبد الله، الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، بيروت، دار الكتب العلمية، 1411هـ - 1990م، (د - ط).
- محمود، عبد الحليم، فقه الدعوة إلى الله، المنصورة، دار الوفاء، 1991م، (د - ط).
- المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط/2، 1985م.

- مرزوق، عبد الصبور، منهجية التغيير الاجتماعي في القرآن الكريم، القاهرة، دار الرشاد، ط/1، 1419هـ - 1998م.
- ابن مسكوية، أحمد بن محمد بن يعقوب، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، بيروت- لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة، ط1.
- مسلم وآخرون، مصطفى، الثقافة الإسلامية تعريفها ومصادرها، عمان- الأردن، دار إثراء للنشر والتوزيع، ط/1، 2007م.
- مسلم، الإمام أبي الحسين، صحيح مسلم، مصر - القاهرة، دار ابن الهيثم، (د-ت).
- مصطفى وآخرون، إبراهيم، المعجم الوسيط، فعل (سنن)، بيروت- لبنان، دار إحياء التراث العربي، (د-ت)1، (د. ط).
- مطر، سيف الإسلام علي، التغيير الاجتماعي، المنصورة، دار الوفاء، ط/1، 1406هـ - 1986م.
- مقبل، فهمي توفيق، العمل التطوعي ودوره العلاجي داخل المؤسسات الإصلاحية في المجتمع العربي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، (د- ط) .
- المنبجي الحنبلي، أبو عبد الله محمد بن محمد، تسليية أهل المصائب، مكتبة الفرقان، 1403هـ، (د- ط).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (باب النون فصل السين)، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط/1.

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، الفكر التربوي العربي الإسلامي الأصول والمبادئ، تونس، 1987م، (د-ط).
- موسى، سيد عبد الحميد، الفرد والمجتمع في الإسلام، القاهرة، دار التوفيق النموذجية، ط/1، 1409هـ - 1989م.
- مومني، ماجد أحمد، الجهاد، مجلة منار الإسلام، عدد 5، مجلد 22، 1996م.
- بن نبي، مالك، شروط النهضة، دمشق - سورية، دار الفكر، ط/6، 1427هـ - 2006.
- النحلاوي، عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق، دار الفكر، ط/1، 1399هـ، 1979م.
- نفرة، التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1974م، (د-ط).
- النوري، قيس، آفاق التغير الاجتماعي، بغداد، المكتبة الوطنية، 1990م، (د - ط).
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح النووي على صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث، 1392هـ، ط/2.
- الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المربي، دار الثقافة للجميع، ط/1، 1401هـ - 1981م.
- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، بيروت، دار الجيل، ط/1، 1411هـ .
- الوزير، إبراهيم بن علي، على مشارف القرن الخامس عشر الهجري، دراسة للسنن الإلهية والمسلم المعاصر، بيروت، دار الشروق، ط/1، 1399هـ - 1979م.

- يكن، فتحي، الشباب والتغيير، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1399هـ - 1979م.
- يوسف: محمد خير رمضان، من خصائص الإعلام الإسلامي، مجلة دعوة الحق السنة 8، العدد 97، 1989م، مكة المكرمة.
- يوسف، إبراهيم يوسف، السنن الإلهية في الميدان الاقتصادي، 1418هـ - 1997م ، (د- ط)، (د- ت).
- يوسف، محمد السيد محمد، التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، القاهرة، دار السلام، ط/1، 1418هـ - 1997م.

المواقع الإلكترونية

- الحديب: عبد الله بن ناصر، www.al_ammah.com
- المغيري: عبد المحسن بن زيد، نقطة تحول، www.islamlight.net
- معاشي: مرتضى، سنن التغيير وملامحة، www.alnahwi.com تاريخ الدخول، 2008/1/7.
- العولمة والعالمية في ضوء سنن الله الكونية www.arriyadh.com تاريخ الدخول 2008/1/8م.
- العولمة والعالمية في ضوء سنن الله الكونية، www.arriyadh.com
- طهماز: عبد الحميد، السنن الإلهية www.al_ammah.com
- الشريف: محمد موسى، الترف وأثره في الدعاة والمصلحين، 1425هـ، www.almoslim.net
- www.Islamweb.net
- www.islamroses.com

فهرس الآيات

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة البقرة		
138	34	صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ.....
256	36	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ
209	38	فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ....
251	136	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ
216	137	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ
193	47-147	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
22	110	فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ
30	155	وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
172	115	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا
39-38	150	فَلَنَّا أَهْبَطُوهَا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي
45	52	وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ..
153	52	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
183	53	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ
155	55-72-85	وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ
44	130	آتَاْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ ...
124	73	وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ
سورة آل عمران		
137	18-24	قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
141	49	وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
154	49	وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ.....
152	59	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ
14	62	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

77	173	الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
77	179	
		سورة النساء
25	26	يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
37	123	لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ
148	75	وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ
110	35	وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ...
52	103	إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
80	79	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ
		سورة المائدة
148	50	أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ
99	79	كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ.....
		سورة الأنعام
112	152-151	قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
69	165	وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
		سورة الأعراف
101	175	وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا
48	155	إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ
39	182	سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ
		سورة الأنفال
20	38	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ
39	46	وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
102-95	53-52	كَذَّابٌ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
-102-95 126	54-53	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ
41-156	60	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطٍ

47-147	39	وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ.....
		سورة الأنفال
74	65	إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ
75	66	الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
149	46	وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
		سورة التوبة
40	14	قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ
122	123	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ
114	105	وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
47	49	أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا
77	58	وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ
79	25	وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ
		سورة هود
100	112	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ
120	61	هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ.....
32-44-114	7	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
70	9	وَلَكِنَّ أَذْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا
		سورة يوسف
30	11	لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَلْبَابِ
		سورة الرعد
28	11	إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ....
		سورة الحجر
21	13-12	كَذَلِكَ نَسُكُّهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ.....
		سورة النحل
141	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ...
102	112	وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

110	163	قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...
105-131-156	125	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
		سورة الإسراء
21	77-76	وإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ ...
		سورة الكهف
22	55	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ...
38	49	الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ
62	46	
		سورة طه
47	40	وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا.....
		سورة الأنبياء
60	35	وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً
62	81	وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ...
		سورة الحج
31	5	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ ...
137	40-39	أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ
53	27	وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
76	11	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ
		سورة المؤمنون
143	96	ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ.....
115	51	يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
		سورة العنكبوت
111	45	إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ.....
47	3-1	الم {1} أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا

		سورة الروم
31	30	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
		سورة السجدة
52	16	تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
80	21	وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ
		سورة الأحزاب
22	36	مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ
23	62-60	لَنِينَ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ
22-23-34	62	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
109	72	
		سورة فاطر
21	4	وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ وَأُفْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِنْ جَاءَهُمْ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ
23	43-42	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا
23-34-35	43	
150	6	
		سورة ص
59	42	ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ
63	30	وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ
		سورة غافر
23	85-83	فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ
26-24-33	85	
		سورة فصلت
143	34	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ... وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ
153	33	
67	35	

		سورة الشورى
80	30	وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ...
121	27	
		سورة الزخرف
123	23	إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم
		سورة محمد
28	7	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ
		سورة الفتح
24	23-22	وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَارَ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ
		سورة الذاريات
47	13	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ
51	56	
		سورة القمر
36	3	وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ
		سورة الحشر
100	8	وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
101	9-8	
		سورة الجمعة
115	10	فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
		سورة التغابن
106	16	
		سورة الملك
32-44-114	2	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
		سورة القيامة
129	2-1	وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

		سورة الإنسان
30	2	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا
		سورة النازعات
140	41-40	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
		سورة الانشقاق
54	6	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا
		سورة البروج
36	16	فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ...
		سورة الطارق
117	7-5	فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ {5} خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ
		سورة الشمس
140	10-8	ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قَدْ
		سورة العلق
117	5-1	اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
		سورة الفيل
30	1	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ

فهرس الأحاديث

الرقم	الأحاديث	الصفحة
1-	اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة،	32
2-	إذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى	78
3-	إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع....	29
4-	أفلا أكون عبداً شكوراً	52
5-	إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً...	66-31
6-	إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة	99
7-	إنما الأعمال بالنيات	149
8-	إن عظم الجزاء مع عظم البلاء	83
9-	إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه	29
10-	إني أوعك كما يوعك	57
11-	أي الناس أشد بلاءً	56
12-	أيها الناس أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين	115
13-	جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج جاء ثلاثة رهطٍ إلى بيوت أزواج	27
14-	الصبر نصف الإيمان..	84
15-	كل مولود يولد على الفطرة فأبواه.....	153
16-	لنتبع سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع،	26

99	17-	ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي
98	18-	ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي
78	19-	ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة
78	20-	ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها ...
85	21-	ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ...
56	22-	من أشد الناس بلاء
122	23-	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه ...
104-98	24-	من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه
26	25-	من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب ...
117	26-	من طلب العلم ليماري به العلماء أو ليجاري به السفهاء
156	27-	من قتل دون ماله فهو شهيد
138	28-	من مات ولم يغز ...
34	29-	من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه
115	30-	والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره
29	31-	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون

Abstract

Lafi, Ehsan Mohammed Ali. Social Laws In Qur'an and Sunna and their Educational Indications. PhD thesis, Yarmouk University, 2008.

(Supervisors: Prof. Ibraheem Abu Arkoub and Prof. Mohamed Oqla Al ibraheem)

The purpose of the study was to identify the social traditions outlined in the Quran and Sunna, and identify their importance, methods used to address these traditions in both The Quran and Sunna, It was also highlight their characteristics, and relations with Islamic Education. Besides The study focused on the role played by religious institutions in promoting them such as family, school and mosque.

The problem of the study was stated in the following question:

- What are the social traditions addressed in the Quran and Sunna and what are their educational indications?

The study used the fundamental approach via collecting social traditions texts addressed in the Quran and Sunna, referring to explanations books, Sunna explanations to clarify the meanings of the texts, collecting the

related information, analyze them and inferring the educational indications from them.

The study concluded the following:

- All nations, in their life and death, in their progress and decadency, adhere to heavenly traditions, ones that do not change and control their actions.
- Social traditions have important educational applications on the individual and the society as a whole. Educational institutions such as family and school must assume their responsibilities in doing so.

Key words: Heavenly traditions, Social traditions, Educational indications, Islamic education